



# القصة القصيرة

بقلم هورست موم  
ترجمة حسن بكر

وتعاسات الحياة» ، ان يبحث عن « مثل رفيع من ردود الفعل ، أو المعارضة ، أو التهرب » .. وبما انه لا يستطيع أن يجد نماذج من الحياة ، لكي يوضح نوابه ، فان عليه ان يخلقها من وعيه . والصعوبة - كما تبدو لي - هي ان على الكاتب ان يعطي هذه المخلوقات التي صاغها « بعض » الصفات الانسانية العامة .. وهي لا تتناسب والصفات التي نسبها اليها عن طيب خاطر ، مما يؤدي الى عجزها عن الإقناع . يسد ان هذا هو انطباعي الشخصي المجرد ، الذي لا اسأل احدا ان يوافقني عليه . ذات مرة ، عندما كان ديزموند مكارثي مقيما معي ، في الريفييرا ، تحدثنا معا ، بأسهاب ، عن قصص هنري جيمس .. الذكريات ضميعة ، هذه الايام .. وبوسعي ان اذكر القارئ ان ديزموند مكارثي لم يكن ندبما جذابا فحسب ، بل وايضا ناقدا ممتازا .. كان واسع الاطلاع .. وكانت له مزية لم يتمتع بها النقاد جميعهم ، ذلك انه رجل عركته الحياة .. كانت احكامه ضمن حدودها ( انه لم يابه ، نسبيا ، بالفنون التشكيلية والموسيقى ) صائبة ، لان انتقاداته قرنته بمعرفته الناقبة بالحياة . وفي هذه المناسبة بالذات ، كنا جالسين - بعد العشاء - في حجرة الجلوس .. وفي مجرى الحديث ، تجرات بان تشير الى ان معظم قصص هنري جيمس - على الرغم مما فيها من اتقان - تافهة ، بشكل غير مألوف . احتج ديزموند ، الذي كان يكن له اعجابا شديدا ، على قولي هذا .. ولكي اغيظه ، اختلقت - على الفور - ما ادعيت انها قصة نموذجية من قصص هنري جيمس .. واذا لم تخني الذاكرة ، فقد كانت - نوعا ما - كما يلي :

اقام الكولونيل والسيدة بلمب في منزل انيق ، بميدان لاوندس . قد امضيا رحلا من فصل الشتاء في الريفييرا ، حيث تصاحبا مع بعض الاميركيين الاغنياء ، ويدعون - وتعلمت باحثا عن اسم - يدعون بريمرتون فيشر . اكرمت عائلة فيشر ماثاها باسراف ، ودعمتها ، في نزهاة ، الى لامورتولا ، وايه ، وافقتو .. واصرت بعناد على ان تدفع فاتورة انحساب . وحينما غادرا ، عاندين اتي انجلترا ، حثا العائلة المضيعة الكريمة على ان تخبرهما ، بمجرد وصولها الى لندن . قرأت السيدة بلمب ، في ذلك الصباح ، في صحيفة « مورننغ بوست » ان السيد والسيدة بريمرتون فيشر وصلا ، ونزلا في فندق براون . كان واضحا انه جدير بعائلة بلمب ان تفعل شيئا ما ، لكي ترد السخاء المفرط الذي حظيت به . واذا كانا يبحثان ما الذي سيفعلانه ، جاء صديق لهما ، لكي يحتسي معهما فنجانا من الشاي .. وكان هذا مقتربا اميركيا يدعى هوارد ، كان يكن ، منذ وقت طويل عاطفة افلاطونية للسيدة بلمب . وبالطبع ، فانها لم تفكر في ان تدعن لمغازلانه التي لم تكن ، في الواقع ، ملحاحة .. سوى انها كانت علاقة رائمة . كان هوارد من ذلك النوع من الرجل الاميركي ، الذي اصبح - بعد ان اقام في انجلترا عشرين سنة - انجليزيا اكثر من الانجليزي نفسه .. لقد كان يعرف كل ذي مكانة مرموقة .. كما انه - كما يذهب المثل - جاب كل الامكنة .. واطلعت السيدة بلمب على الموقف . اقترح الكولونيل ان يقيما حفلة

منذ امد بعيد ، كتب الي محرر موسوعة كبيرة ، جديدة كانت فيد الاعداد ، طالبا مني ان اساهم ببحث عن القصة القصيرة .. كان في البادرة اطراء لي .. سوى اني رفضت . فنظرا لاني نفسي كاتب قصص قصيرة ، شعرت انه لن يتسنى لي ان اكتب بحثا كهذا بالاسلوب الحيادي الذي يقتضيه ، ذلك ان كاتب القصص القصيرة يكتبها بالاسلوب الذي يحسب انه الامثل ، والا فانه سوف يكتبها بطريقة مختلفة . هنالك اساليب كثيرة لكتابتها .. وكل كاتب يختار الاسلوب الذي يتفق ومزاجه . لقد خيل الي ان البحث في هذا الموضوع ، يمكن ان يكون اكثر ايجابية ، اذا ما كتبه احد رجال القلم الذي لم يكتب نفسه قط اية قصة .. فليس هنالك ما يمنعه من ان يكون قاضيا نزيها . خذ - على سبيل المثال - قصص هنري جيمس .. لقد كتب عددا منها .. وانها اوضع اعجاب القراء المثقفين الذين ينبغي على المرء ان يحترم آراءهم . وانه ليبدو لي ان من المستحيل على أي واحد عرف هنري جيمس شخصا ، ان يقرأ قصصه بغير تحيز .. لقد سكب رنين صوته في كل سطر كتبه .. انك لتقبل الاسلوب اللطوي لمظم اعماله ، وطول نفسه ، وتكلفه لانها كلها جزء لا يتجزأ من سحر الرجل ، ورقة قلبه ، وخيالته المسلية . سوى اني - مع كل ذلك - اجد قصصه غير مقنعة ابدا .. اني لا اصدقها .. انا لا اصدق ان اي واحد قادر على ان يتصور عذاب طفل يعاني من اندثرنا ، يستطيع ان يتخيل ان ام الطفل ستتركه يموت على الفور ، على ان تدعه يشب عن الطوق ، لكي يقرأ كتب ابيه . وهذا ما يحدث في قصة بعنوان « مؤلف بلترافيو » .. احسب ان هنري جيمس لم يدرك قط كيف يتصرف الناس العاديون .. ان شخصياته لا تماك اية امعاء ، او اعضاء تناسلية .. لقد كتب مجموعة من القصص عن رجال القلم .. ويقال انه كان يجيب ، عندما يحتاج احد من الناس ان رجال الادب ليسوا كذلك : « لسوء حظهم » . والمعتقد انه لم يعتبر نفسه واقفيا .. ومع اني لا اعلم ان هذه حقيقة ، الا انني احسب انه نظر الى « مدام بوفاري » برعب .. فسي احدى المناسبات ، كان « ماتيس » (1) يعرض ، على سيدة احد رسومه ، وكانت لامرأة عارية .. فقالت السيدة باستغراب : « ولكن المرأة ليست كذلك » .. فكان جوابه على ذلك : « انها ليست امرأة ، يا سيدتي .. انها رسم » . وبالطريقة نفسها ، فانني اظن ان هنري جيمس كان سيحسب ، لو ان احدا تجرأ قائلا ان قصة من قصص هنري جيمس لم تكن كالحياة : « انها ليست حياة .. انها قصة » .

لقد اوضح هنري جيمس موقفه من هذه المسألة ، في مقدمة كتبه لمجموعة قصصية سماها « دروس الاستاذ » . انها قطعة صعبة .. ومع اني قرأتها ثلاثا ، الا انني لست موقنا انني فهمتها .. خلاصة القول ، في ظني ، انه من الطبيعي ، حينما يجابه الكاتب « بخطورة مهازل ،

(1) هنري ماتيس رسام فرنسي مشهور ، ولد عام 1869 واتوفى

عام 1954 ( المترجم ) .

لم ينشر قط ، في إنجلترا .. ونفدت طبعاته ، في أميركا ، منذ أمد بعيد .. ومع ان محاضرتي ظهرت في المجلد السنوي الذي تصدره رابطة الادب الملكية ، وتطبع فيه المحاضرات التي اقيمت امامها ، فانها لم تكن متوفرة الا لاعضاءها . وعندما قرأت ، بعد فترة من الزمن ، هاتين المقاتلتين ، تبينت اني غيرت رأيي في بعض النقاط .. وأن تنبؤات معينة ، تكهنت بها ، لم تدعمها الحوادث . في الصفحات التالية ، ومع انني مضطر الى ان اكرر قسما كبيرا مما قلته من قبل ، وبالكلمات نفسها تقريبا ، طالما انني لا اعرف كيف اقول ما يتوجب علي أن اقله ، بطريقة أفضل مما قلته في الماضي ، فاني اقترح ان اقدم للقاريء خواطري ، كما هي ، حول شتى انواع الانتاج الادبي السذي ثابرت انا نفسي ، في الماضي ، على ممارسته .

من الطبيعي ان يحكي الناس الحكايات .. واني لاحسب ان القصة القصيرة خلقت في ليالي الزمن ، حينما كان الصياد ، بفيه قضاء وقت فراغ زملائه ، بعد ان يكونوا قد ملأوا بطونهم بالطعام والشراب ، يقص - بجانب موقد النار في الكهف - بعض الحوادث الخيالية التي سمع بها . وحتى يومنا هذا ، بوسمك أن ترى ، في مدن المشرق ، الفصصي جالسا في السوق ، ومن حوله دائرة من المستمعين اليقظين الذين يصفون آليه ، وهو يقص عليهم اقصص التي ورثها من الماضي السحيق . سوى انني افترض ان القصة القصيرة لم تلق الراجح الذي جعل منها ركنا هاما من أركان الادب ، الا منذ القرن التاسع عشر . وبطبيعة الحال ، فإن القصص القصيرة كتبت ، من قبل ، وقرئت على نطاق واسع : كانت هنالك القصص الدينية اليونانية النشأة .. وكانت هنالك حكايات القرون الوسطى التهذيبية .. وكانت هنالك قصص الف ليلة وليلة الخالدة . وطوال عصر البعث (1) ، شاعت في ايطاليا ، واسبانيا ، وفرنسا ، وانجلترا نزع كبيرة للقصة القصيرة ، فكانت مجموعة «ديكاميرون» (2) لبيكاسيو (3) ، و «حكايات مثالية» لسيرفانتيس الشواهد الخالدة عليها . سوى ان هذه النزع تضاعفت بانبعث الرواية ، فلم يعد بائعو الكتب يدفعون مبالغ كبيرة ثمنا لمجموعة من القصص القصيرة .. واخذ المؤلفون ينظرون بتساؤل ، الى نوع من الكتابة الخيالية لم يجلب اليهم ائنف ، أو الشهرة . وعندما كانوا - بين الفينة والفينة - بعد ان يتخلوا موضوعا لم يستطيعوا ان يعالجوه بنفس اطول ، يكتبون قصة قصيرة ، فانهم لم يعرفوا ما الذي سيفعلونه بها .. وهكذا ، فانهم كانوا ، رغبة منهم في الا يتلفوها ، يحشرونها - احيانا - بسداجة ، في رواياتهم .

بيد ان نوعا آخر من المطبوعات وضع - في مطلع القرن التاسع عشر - بين يدي القراء ، اكتسب شعبية فائقة .. كان هذا هو المجلد السنوي . ويبدو انه ظهر ، اول ما ظهر ، في ألمانيا .. كان هذا خليطا

عشاء للفريبيين .. اما السيدة بلطب فلم تكن متأكدة ، ذلك انها كانت تدرك ان الناس الذين غدوت اليها معهم ، في الخسارج ، ووجدتهم ساحرين ، قد يبدون بمظهر مختلف ، عندما تراهم ، مرة أخرى ، في لندن . فاذا ما ارادوا ان يعرفوا عائلة فيشر على اصداقتهما الطيبين - وكان اصداقاهما كلهم طبيين - فانهم سيوجدونها ثقيلة النمل .. وسنكون عائلة فيشر المسكينة « في غير محلها » .. ووافقها هوارد على ذلك ، اذ ان تجاربه المريرة علمته ان حفلة مثل هذه تكون ، دائما تقريبا ، فشلا ذريعا . قال الكولونيل : « لم لا ندعوها وحدهما الى العشاء ؟ » .. اعترضت السيدة بلطب بان هذا كليل بان يظهرهما بمظهر المستحي بهما ، او من لا اصداق طبيين له . عندئذ ، اقترح ان يصحبا عائلة فيشر الى المسرح ، ثم ان يتناولوا عشاءهم ، بعد ذلك ، في سائوي .. ولم يبد الاقتراح عمليا . قال الكولونيل : « يجب ان نعمل شيئا ما » .. قالت السيدة بلطب : « اجل ، يجب ان نعمل شيئا ما » .. تمننت لو انه لا يتدخل .. لقد كان يملك كل الصفات الحازمة التي تتوقع ان تجدها في كولونيل في انجرس الملكي ، ذلك انه لم ينل وسام الخدمة الرفيعة اعتباطا . سوى انه كان عديم ائنف ، في المسائل الاجتماعية .. لقد شعرت ان هذا الامر يجب ان تقرره هي وهوارد بنفسهما . وهكذا ، وفي صبيحة اليوم التالي ، حينما لم يتم ترتيب أي شيء ، طلبته هاتيفاء ، وسانته ان يحضر لكي يتناول فدحا من الشراب ، في تمام الساعة السادسة ، حينما يكون الكولونيل يلعب البردج في ناديه .

جاء ، ومنذ ذلك الحين ، دأب على ان يحضر كل يوم .. اسبوع بعد اخر وهو والسيدة بلطب في اخذ ورد .. قلبا الامر على كل وجه ، ومن كل زاوية .. اخذت كل نقطة ، ودرست بدهاء لا يضاهاى . ومن ذا الذي يصدق ان الكولونيل كان انشخص انذي قدم الحل ؟ .. فقد حدث ان كان حاضرا ، في احد الاجتماعات العديدة التي عقدت بين السيدة بلطب وهوارد ، بينما كانا يستعرضان - وهما في حالة من اليأس تقريبا - الموقف الصعب ، اذ قال : « لماذا لا تتركين لهما بطاقتي » .. صاح هوارد : « بانضب » . تنفست السيدة بلطب الصعداء .. وصوبت نظرة مختالة الى هوارد .. كانت تعرف انه يعتقد ان الكولونيل حمار متكبر ، وغير جدير بها ابدا .. قالت نظرتها : « انظر ، ذلك هو الرجل الانجليزي الحقيقي .. فقد يكون قليل الحنق ، وقد يكون حاملا نسبيا ، ولكنك تستطيع ان تظمن الى انه سيفعل الشيء الصحيح ، في ساعة الازمة » .

لم تكن السيدة بلطب بالمرأة التي تتردد ، حينما يكون الباب الذي فتح لها خاليا من العوائق .. قرعت الجرس للساقى ، وطلبت اليه ان يعمل على ان تكون المركبة حاضرة ، على الفور . ولكي تقوم بواجب ضيافة عائلة فيشر ، ارتدت اجمل فساتينها ، واعتمرت قبعة جديدة .. اتجهت ، ومحظزة بطاقتها في يدها ، الى فندق براون ، حيث قيل لها ان عائلة فيشر غادرت الفندق ، صبيحة ذلك اليوم ، متجهة الى ليفربول ، لتأخذ السفينة « كونارد » ، عائدة الى نيويورك . اصفى ديزموند الى قصتي الساخرة بشيء من الحنق .. قال : « بيد ان ما نسيتته يا صديقي ويلي المسكين ، هو ان هنري جيمس كان سيعطي القصة كبرياء كاتدرائية سينت بول اتقليدي ، ورعب سينت بانكراس المتزايد ، و .. وروعة ووبرن المفيرة » . وعلى هذا ، انفجرنا كلانا ضاحكين .. قدمت له فدحا اخر من الويسكي والصودا .. وفي الوقت المناسب ، افترقنا راضيين عن نفسينا ، لكي يذهب كل منا الى حجرة نومه .

- ٢ -

منذ ثيف وعشرين سنة خلت ، كتبت للقراء الاميركيين مقدمة لمختارات انقيتها من القصص القصيرة التي كتبت في اقرن التاسع عشر . وبعد بضع سنين ، استعملت كثيرا مما قلته انذاك ، في محاضرة عن القصة القصيرة ، التيها امام اعضاء رابطة الادب الملكية . ان كتابي

(1) انشق عصر البعث في ايطاليا ، في القرن الرابع عشر ، وامتد حتى القرن السادس عشر . ويعرف ايضا بعصر الاصلاح أو النهضة العلمية .. وهو في الواقع ، تلك الحقبة من الزمن التي فصلت بين العصور الوسطى والحداثة . وقد انكب الفنانون والكتاب ، في هذا العصر ، على دراسة انتاج العصور القديمة البسيط ، المتناسق ، في هتي نواحي الفن . ومن خلال تلك الدراسة ، انبعث الحماس للاشياء الانسانية الغاية ، والطبيعية ، وهي التي كان يهمل عنها دائما « بالتمتع الحسي بالحياة ، والرغبة في الاعتداد بالفس » . وامتد الحماس فنمسل اقطار جنوب أوروبا ، واثم يصل الى اقطار الشمال الاوروبي - البلدان الاسكندنافية - الا في القرن السادس عشر . وفي هذا القرن - اي القرن السادس عشر - عطلما ظهرت في أوروبا النزعات القومية من جهة ، واثتدت سيطرة الكنيسة ، من جهة اخرى ، تصلب عصر البعث ، وغدا الشكل الخارجي للادب تقليدا آليا ، الصى للقديم ، بينما تحول مضمونه الى نزع قومية ، او دينية . ( المترجم ) .

(2) مجموعة مؤلفة من مائة قصة . ( المترجم ) .

(3) كاتب ايطالي . ( المترجم ) .

من الشعر والنثر .. وزود قراءه ، في موطن نشأته ، بغذاء عقلي جوهري .. ذلك انه يقال لنا ان « فتاة اورليانز » (1) لشيلسر ، و « هيرمان ودوروثيا » لوفته ظهرتنا ، بادية ذي بدء ، في مطبوعات حولية من هذا النوع . ولكن ، عندما ادى نجاحها الى قيام الناشرين الانجليز بتقليدها ، اعتمدوا - بصفة رئيسية - على القصص القصيرة ، لاجتذاب عدد كاف من القراء ، وذلك حتى يتسنى لهم جني الارباح ، من هذا العمل .

من المناسب ان اتحدث ، الان ، عن التأليف الادبي ، للقارئ الذي اهمل - على حد علمي - النقاد ، الذين تقع على عاتقهم مسؤولية ارشاده ، وتعليمه ، ان يطعموه عليه . ان لدى الكاتب حافظا يدفعه لان يخلق .. كما ان لديه ، ايضا ، الرغبة في ان يضع امام القارئ، والنتيجة التي تمخض عنها عمله ، والرغبة ( وهي رغبة غير مؤذية ، ولا تهتم القارئ ) في ان يكسب قوت يومه . وعلى العموم ، فانه يجد ان من الممكن ان يوجه قدرته الخلاقة ، في اتجاهات تتيح له ان يشبع هذه الاهداف المتواضعة .. واذ اجازف بان اصدم القارئ الذي يعتقد بان الهام الكاتب يجب الا يتأثر بالاعتبارات العملية ، فاني يجب ان اخبره ، ايضا ، ان الكتاب يجدون انفسهم - بالطبع - مدفوعين لان يكتبوا ذلك النوع الذي يلغون عليه طلبا .. ليس ذلك مفاجئا ، لانهم ليسوا كتابا فحسب ، بل وايضا قراء .. وعليه ، فما داموا اعضاء في المجتمع ، فانهم عرضة للمناخ الفكري السائد . فاذا ما جلبت التمثيليات الشعرية الشهرة ، ان لم يكن الثراء ، للمؤلف فقد يصعب ان تجد شابا ذا ميول ادبية ، لا يملك بين اوراقه ماساة من خمسة فصول . واظن ان شبانا قلائل سوف يفتنون - الان - الى ان يكتبوا واحدة . انهم ، اليوم ، يكتبون التمثيليات نثرا ، كذلك القصص الطويلة منها والقصيرة . حقا ، ان عددا من التمثيليات الشعرية قد اخرج بنجاح ، فسي السنوات الاخيرة .. الا انه بدا لي ، حينما اتحت لي فرصة مشاهدتها ، ان المترجمين تقبلوا الشعر كشيء لا بد لهم من ان يختموه ، اكثر مما كان شيئا يستسيقونه .. اما المثلون ، اذ احسوا معظم الوقت بذلك ، فقد بذلوا قصارى جهودهم لكي يخفوا عدم ارتياحهم ، وذلك بان نطقوا الشعر كما لو انه كان ، في الواقع ، نثرا .

ان لامكانية النشر ، واحتياجات المحررين ، اي تصورهم لما يريد القراء ، تأثيرا كبيرا على نوع العمل الذي يتم انتاجه ، في حقبة معينة من الزمن . وهكذا ، فعندما تزهو المجالات التي تتسع للقصص ذات الاطوال الكبيرة ، تكتب القصص بذلك الطول .. ومن جهة اخرى ، عندما تنشر الصحف القصص ، ولكنها لا تستطيع ان تخصص لها اكثر من فراغ بسيط ، فان قصصا تزود لملء ذلك الفراغ .. وليس في ذلك ما يعيب ، فان بوسع الكاتب الكفو أن يكتب قصة من ألف وخمسمائة كلمة ، بالسهولة نفسها التي يكتبها فيها في عشرة الاف كلمة .. ولكنه يختار قصة مختلفة ، او يعالجها بأسلوب اخر . لقد كتب « غي دي موباسان » واحدة من أشهر حكاياته ، « الميراث » ، مرتين ، مرة لاحدى الصحف ، في بضع مئات من الكلمات ، وفي المرة الثانية لمجلة ، في بضعة الاف كلمة .. وكلتاها منشورتان في طبعة لجموعة اعماله .. واظن ان احدا لا يستطيع ان يقرأ القصتين دون ان يعترف ان كلمة واحدة لم تنقص الاولى ، ولم تكن زائدة في الثانية . والنقطة التي اود ان اثيرها هي : ان طبيعة الوسيلة التي يدنو بها الكاتب من جمهوره واحدا من الاعراف التي لا بد له من ان يتقبلها .. وانه يتبين - على وجه العموم - ان بوسع ان يفعل هذا ، دون اي انتهاك لميوله الخاصة .

ان المجلد السنوي ، والهدايا قد هيات - في مطلع القرن التاسع عشر - للكتاب وسيلة لتقديم انفسهم للجمهور ، بواسطة القصة القصيرة .. وهكذا ، فان القصص القصيرة - اذ اصيحت تخدم غاية اسمى من جذب اهتمام القارئ ، لبرهة ، من خلال زجها في الرواية الطويلة - اخذت تكتب باعداد اكبر من اي وقت مضى . لقد قيل فسي المجلد

(1) جان دارك . ( المترجم ) .

السنوي ، وفي كتاب السيدة الشيء الكثير من القول الصعب .. وأكثر واشد من ذلك ، قيل في المجلة آتي خفتها بالنسبة لاقبال الجمهور . سوى انه يندر ان ينكر ان الفيض الوفير من انقصص التي نتجت ، في القرن التاسع عشر ، كان نتيجة مباشرة للفرصة التي هيأتها هذه المطبوعات . ففي اميركا ، ادت الى قيام مدرسة من الكتاب الافذاذ ، الفيزيري ، لانناج ، حتى ان بعض الاشخاص ، غير الملمين بتاريخ الادب ، ادعوا ان القصة القصيرة ابتكار اميركي .. وليس الامر كذلك ، بالطبع .. الا انه لا بد من ان يقرر بان هذا النوع من القصص لم يستغل ، في اي بلد اوروبي ، مثلما استغل في الولايات المتحدة .. كذلك ، فان اساليبه ، وسبكه ، وامكانياته لم تدرس بعناية ، في اي مكان اخر ، مثلما درست هنالك .

من خلال قراءتي ، من اجل كتابي ، تعدد ضخم من القصص التي كتبت في القرن التاسع عشر ، تعلمت الكثير عن طريقة الصياغة . والان ، فان علي ان احذر القارئ من ان المؤلف - كما قلت في صفحة سابقة - نحاز ، حينما يمارس فنا من الفنون .. انه يكتب كما يقدر ، وكما يجب ان يكتب ، لانه نوع معين من البشر .. ان له اعضاءه ، ومزاجه الخاص ، حتى انه ليرى الاشياء بطريقة غريبة عليه ، ويعطي خياله الهيئة التي فرصتها طبيعته عليه .. انه يحتاج الى حيوية عقلية فريدة لكي يؤيد عملا مخالفا لميوله الفطرية . يجب على المرء ان يأخذ حذره ، حينما يقرأ نقد القصصي نقصوص الاخرين .. انه عرضة لان يبحث عن ذلك الابداع الذي يستهدفه هو نفسه .. ويحتمل الا يرى الا النسر اليسير من الجدارة ، في المزاي التي تنقصه . ان تفضل ما قرأت من الكتب عن الرواية ، كتاب من تأليف كاتب مبدع ، لم يستطع قط - في حياته - ان يكتب قصة معقولة . ولم افاجأ ، عندما وجدت انه لم يحترم كثيرا الكتاب الذين لا تعدو اعظم مواهبهم ان تكون قدرتهم على اعطاء الحوادث التي يروونها صبغة من الصدق . انني لا الومه على هذا .. فالصبر مزية حسنة من مزايا الانسان .. ولو انها كانت اوسع انتشارا ، لكان عالم اليوم مكانا افضل للحياة ، مما هو عليه الان .. سوى انني لست على يقين من انها بمثل هذه الجودة بالنسبة للكاتب .. فما الذي سيفتيك اياه ، على طول المدى ؟ .. نفسه . جميل ان يكون خياله رحبا ، لان الحياة ، بكل ابعادها ، مجال اختصاصه .. ولكنه يستطيع ان يراها بعيني فقط ، وان يتفهمها باعصابه ، وقلبه ، واحشائه : ان معرفته متحيزة ، بطبيعة الحال .. الا انها ذات خصائص متميزة عن سواها ، لانه شخص نفسه ، وليس شخصا اخر .. ان رايه قاطع ومميز .. فاذا ما شعر ، حقا ، ان اية وجهة نظر اخرى سارية كوجهة نظره ، فانه قلما يتشبث ، بغوة ، بوجهة نظره .. ولا يحتمل ان يقدمها بعنف . جميل ان يرى المرء ان للسؤال جانبين .. سوى ان الكاتب ، وجها لوجه مع الفن الذي يمارسه ، يستطيع فقط ان يرى هذا الرأي بواسطة مجهود من الاستنتاج المنطقي .. وانه يشعر ، في قراءة نفسه ، ان الامر لا يؤلف ستة من نوع ، ونصف « ذبذبة » من النوع الاخر .. وانما هو اثنا عشر الى جانبه ، وصفر الى الجانب الاخر .. ان هذه اللامعقولية ستكون شؤما لو ان الكتاب كانوا قلائل .. او لو ان تأثير احدهم كان بالغا ، بحيث يكره الاخرين على اتباعه .. غير ان هنالك الالاف منا .. وكل واحد منا لديه رسالة - وهي رسالة محددة - لكي يبلغها .. ومن بين هذه الرسائل ، يستطيع القراء ان يختاروا ، حسب اذواقهم الخاصة ، ما يناسبهم .

لقد قلت هذا لكي امهد الطريق . انني افضل من القصص ذلك النوع الذي يستطيع انا نفسي ان اكتبه .. وهذا النوع من القصة كتبه عدد كبير من الناس باجادة .. سوى ان احدا لم يكتبها بعفوية اكبر مما كتبها « موباسان » . وهكذا ، ولكي ابين طبيعتها ، فانه لا يسعني ان افعل اي شيء افضل من ان اناقش قصة من أشهر انتاجه ، هي « الحلبي » .. ولسوف تلاحظ شيئا واحدا عنها ، الا وهو ان بوسعك ان تقصها حول مائدة العشاء ، أو في قاعة التدخين في احدى السفن ، وان تجعل مستمعيك يصفون اليك بانتباه . تدور القصة حول حادث غريب ، الا

بعض الاحيان ، يحرص القراء على التثبيت بحقائق الحياة ، كما يعرفونها - وعندها تكون الواقعية سائدة .. وفي احيان اخرى ، فانهم ، اذ لا يكثرنون بهذا ، يطالبون بالفريب ، والشاذ ، والدهش .. ومن ثم فان القراء - طالما بقوا هنالك - مستعدون لان يرجئوا عدم التصديق ، عن طيب خاطر . ليس الجائز امرا ثابتا .. انه يتغير مع اتجاهات الزمن .. انه ما تستطيع ان تجعل قراءك يهضمونه . الواقع ان في كل القصص الخيالية انواعا معينة من اللامعقول ، التي يسلم بها دونما تساؤل ، لانها غالبا ما تكون ضرورية لكي تساعد الكاتب على ان يستأنف قصته بلا تاخير .

ان احدا لم يضع بدقة قواعد ذلك النوع من القصة الذي ناقشناه الان ، اكثر مما فعل « ادغار آلن بو » .. ونظرا لطولها ، فانني ساقبتبس تقريظه كاملا « لحكايات حكيت مرتين » لهوثورن . فان هذا التقريظ تضمن كل ما يمكن ان يقال عن الموضوع . وسوف اكتفي بنبذة قصيرة : « فنان ماهر يضع حكاية .. فاذا كان عاقلا ، فانه لن يصوغ افكاره بحيث تلائم حوادثه .. ولكنه ، اذ يكون قد تخيل ، بعناية وترو ، شيئا فريدا معيناً ، او نتيجة يريد لها ان ترى النور ، يختلق - بعدئذ - مثل تلك الحوادث .. ومن ثم فانه يستنبط تلك المؤثرات التي يمكن ان تكون خير عون له ، في تقرير النتيجة التي تخيلها من قبل . فاذا ما جنتحت جملته الاولى الى عدم ابراز هذه النتيجة ، كان الفشل - عندئذ - قد لازم خطوته الاولى .. يجب الا نكتب ، في التأليف كله ، كلمة لم يكن وقعها ، المباشر منه وغير المباشر ، مناسباً للمخطط الذي اعد مسبقاً . بمثل هذه الوسائل ، وبمثل تلك العناية والمهارة ، يتم - على طول المدى - رسم الصورة التي تترك في انطباعات من يقارنها بالفن المائل، شعورا بالرضى الكامل .. فقد تم تقديم فكرة القصة دون ان تشوبها شائبة ، ذلك لانها لم تشوش .. »

( ٣ )

ليس صعبا ان نقرر ما الذي قصد « بو » بالقصة القصيرة الجيدة .. انها قطعة خيالية ، تعالج حادثا واحدا ، روحيا كان ام ماديا ، ويمكن ان تقرأ في جلسة واحدة .. انها مبتكرة ، ويجب ان تشع ، وتيسر ، وتؤثر .. يجب ان تكون لها وحدة تأثير ، او انطباع .. يجب ان تسيير على خط مستقيم ، منذ بدايتها حتى نهايتها .. ليس سهلا - كما يتخيل البعض - ان تكتب قصة على المبادئ التي وضعها . ان ذلك يتطلب ذكاء ، قد لا يكون رفيع الدرجة ، الا انه من نوع خاص .. انها تحتاج الى احساس بالتنظيم ، وقسط غير قليل من القدرة على الابتكار . لا يوجد ، في انجلترا ، من كتب بناء على هذه الخطوط افضل من روديارد كيبلنج .. انه وحده ، من بين كتاب القصة القصيرة الانجليز ، الذي يمكن ان يقارن مع كبار الكتاب الروس ، والفرنسيين .. انه ، في الوقت الحاضر ، مخوس القدر ، بغير ما حق . ذلك امر طبيعي .. فعندما يقضي كاتب مشهور نخبه ، تنشر كلمات النايبين في الصحف .. ويقوم كل من تعامل معه ، حتى وان لم يزد ذلك عن تناول فنجان من الشاي في صحبته ، بالكتابة الى صحيفة « التايمز » ، واصفا ما حدث . وان هما الا اسبوعان ، حتى يصبح مادة غير اخبارية ، ويكرس بهدوء بالغ للنسيان .. ومن ثم ، فاذا كان مخطوفا ، فانه ، بعد عدد من السنين ، قد تطول او تقصر ، يتذكر ، ويعاد الى حظوة الجمهور . وانطوني ترولوب اكبر مثل على ذلك ، بالطبع .. فبعد جيل من الاهمال ، اكتسبت رواياته ، بعد التغيير الذي طرأ على الحياة الانجليزية ، سحرا اخادا ، ادى الى اجتذاب عدد ضخم من القراء .

مع ان روديارد كيبلنج حظي باعجاب جمهور غير ، منذ اوائل حرفته ، واحتفظ به ، الا ان الرأي المتفك كان دائما مترددا ، نوعا ما ، في مديحه له .. ذلك ان خصائص معينة ، في اسلوبه ، كانت مملسة للقراء من ذوي الانواع المتأنقة .. لقد اقترن اسمه باستعمار كان بغضبا بالنسبة لعدد كبير من الاشخاص الحساسين ، والذي اصبح - الان -

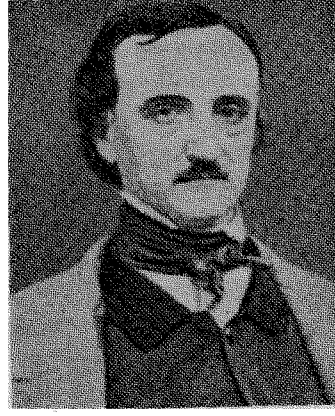


موباسان

انه ليس بعيد الاحتمال . يوضع المشهد امامك بايجاز ، كما يتطلب الوسيط ، ولكن بوضوح .. أما الاشخاص المعنيون ، ونوع الحياة التي يحيونها ، وفسادهم فانها تقدم اليك بالقدر الكافي فقط ، من الوصف الضروري لايضاح ظروف القصة .. كل ما هو ضروري لك ان تعرفه ، يقال لك .. وفي حالة ما اذا كان القارئ لا يتذكر القصة ، فانني سارويها باقتضاب . ماتيلدا زوجة لكاتب فقير ، فسي وزارة التربية والتعليم .. يدعوها الوزير الى حفلة مسائية .. ولما لم تكن تملك اية جواهر ، فانها تستعير عقدا ماسيا من صديقة قديمة ، عرفتها منذ ايام الدراسة .. وتفقدته . لم يكن يد من تقديم بديل له .. وباربعة وثلاثين الف فرنك ، وهو مبلغ ضخم بالنسبة لهما ، استدين بفائسة فاحشة ، يقوم الكاتب وزوجته بشراء عقد مماثل تماما للعقد المفقود . ولكي يدفعها دينهما الساق ، كان لا بد لهما من ان يعيشا في فقر مدقع .. واخيرا ، عندما فعلا ذلك ، اخبرت ماتيلدا صديقتها الفنية بما حدث . وتقول صديقتها : « ولكن العقد ، يا عزيزتي ، كان مزيفا .. ان ثمنه لم يتجاوز خمسمائة فرنك » .

قد يعترض الناقد المتحذلق ان « الحلبي » ، بالنظر اليها من بيئتها ، ليست قصة متقنة ، لان الرواية ، من هذا النوع ، يجب ان تكون لها بداية ، ومنصف ، ونهاية .. فاذا ما بلغت النهاية ، كانت القصة كلها قد حكيت .. انك لن تتمنى ، ولن تحتاج السبي ان تسأل اي سؤال اضافي ، ذلك ان كلمات المقاطعة قد ملئت .. ولكن موباسان - في هذه الحالة - اكتفى بنهاية تهكمية ، ومؤثرة . فلما يحجم القارئ المتحرس عن ان يسأل نفسه ، ماذا بعد ؟ .. حقا ، ان الزوجين التعمسين قدسوا اضاعا شبايبهما ، ومعظم ما يجعل الحياة سارة ، في السنين الكئيبة التي امضيها وهما يدخران النقود ، لكي يدفعوا ثمن العقد المفقود .. بيد انهما كانا سيجدان نفسيهما بملكان ثروة صغيرة ، اذا ما اعيد اليهما العقد الذي اشترياه ، بعد ان تم اكتشاف خطاهما .. وما كانت تلك لتبدو تعويضا غير معقول ، عن الجذب الروحي الذي جلبته عليهما تضحيتهما . فضلا عن ذلك ، فلو ان المرأة التعميسة لسم تكن شديدة الحساسية ، بحيث كان من الممكن ان تذهب الى الصديقة ، وتخبها عما فقدته - ولم يعط اي سبب لما منعها من ان تفعل ذلك - لما كانت هنالك اية قصة . انه لمن دواعي الابداع بالنسبة لموباسان ، ان يكون القراء الذين احتفظوا بوعيمهم ، حتى ليفطنوا الى هذه الاشياء ، قليلي العدد . ان كاتب مثل موباسان لا يقلد الحياة ، بل يرتبها ترتيبا افضل ، لكسي يجلب الاهتمام ، ويثير ، ويفاجيء .. انه لا يستهدف نسخ الحياة ، بل جعلها مؤثرة .. انه مستعد لان يضحي بالمعقول ، في سبيل النتيجة التي يتوخاها .. والامتحان هو ما اذا كان بوسعه ان يفلت من ضبطه متلبسا بذلك . فاذا ما رتب الحوادث التي يصفها ، والاشخاص المعنيين بها ، بشكل يتيح لك ان تظن الى العنف الذي الصقه بهم ، فانه يكون قد فشل . ولكن فشله - احيانا - ليس نقطة جدل ضد اسلوب . فسي

ادغار ألن بو



المنظر ، والعيش فيها مريح .. فالحجرات واسعة ، جميلة ، متناسقة .. كنت تحسب ان الناس سيتقننوعون بهذه البيوت ، الى الابد . ولكن لا .. لقد اقتربت المرحلة الرومنطيقية ، فارادوا الاينق ، والكثير الزخارف ، والمهج .. وشيد لهم المهندسون العماريون بسرور ما ارادوا . انه لمن الصعب ان تبكر قصة كالتى كتبها « بو » .. حتى انه هو ، كما نعلم جميعا ، كرر نفسه ، اكثر من مرة ، في انتاجه القليل .. ان في هذا النوع من الحكايات ، قدرا كبيرا من التحايل . وحينما اشتد الطلب على هذه الحكايات ، بعد ان ظهرت المجلات الشهرية واكتسبت شعبية فورية ، لم يتباطأ الكتاب في ان يتعلموا الحيل . ولكي يجعلوا قصصهم مؤثرة ، فقد فرضوا عليها شكلا تقليديا .. ولم يلبثوا ان انحرفوا بعيدا عن المعقول ، في تصويرهم للحياة ، حتى ان قراءهم ناروا . لقد ملوا من القصص المكتوبة على نمط عرفوه جيدا .. واحتجوا بان الاشياء لا تمضي ، في الحياة الحقيقية ، بهذا الاتقان .. فالحياة الحقيقية عبارة عن خيوط مقطعة ، واطراف غير منتظمة .. وترتيبها على نسق مجرد زيف .. وطلبوا بواقعية اكثر . الان ، فان نسخ الحياة لم يكن ، قط ، من شان الفنان .. لقد اوضح « السير كينيث كلارك » هذه النقطة ، في كتابه « العارية » ، ايضا تاما . بين لنا ان كبار المثالين القدماء في اليونان ، لم يلتزموا بوصف « موديلاتوم » بواقعية محكمة ، بل اتخذوا منها وسيلة للوصول الى مثلهم الاعلى في الجمال . اذا ما نظرت الى لوحات وتمائيل الازمان الفائرة ، فانك لا بد وان تفاجأ ، حينما تلمس المدى القليل الذي شغل الفنانون به انفسهم ، في نقل ما وقعت عيونهم عليه ، نقلا محكما .. ان الناس خليفون بان يحسبوا ان التشويش الذي فرضه الفنانون التشكيليون على موادهم - وافضل مثل على ذلك فنانون الامس التكمييون - هو من ابتكار ازماننا . الامر ليس كذلك .. انهم يظنون ذلك ، فقط لانهم تعودوا كثيرا على تشويش الماضي ، حتى انهم يتقبلونها على انها الحقيقة عينها . فمنذ الايام الاولى للرسم الغربي ، ضحى الفنانون بالمعقول ، في سبيل النتيجة التي يجدون في طلبها . والامر كذلك بالنسبة للقصة .. ولن نذهب بعيدا ، فهذا « بو » خير شاهد . شيء لا يصدق ان يكون قد ظن ان الناس يتحدثون بالطريقة التي جعل شخصياته يتحدثون بها : فاذا كان قد وضع على السنتهم حوارا يبدو لنا ممعنا في اللاواقعية ، فمرد ذلك لا بد وان يكون نتيجة لظنه ان هذا الحوار يناسب نوع القصة التي كان يقصها ، ويساعده على الوصول الى الغرض المتعمد الذي نعرف انه وضعه نصب عينيه . لقد اولع الفنانون بالواقعية ، عندما حملوا عليها ، حتى انهم اوغلتوا في الابتعاد عن الحياة ، بحيث امسى الرجوع امرا ضروريا . شغلوا انفسهم ، حينئذ ، بنسخها باكبر قسط من الدقة ، لا كفاية في حد ذاتها ، ولكن ربما ، كنظام مفيد .

في القرن التاسع عشر ، جاءت الواقعية ، في القصة القصيرة ، نتيجة لرود الفعل نحو الرومنطيقية التي غدت مملة . وحاول الكتاب ، الواحد تلو الآخر ، ان يصوروا الحياة بصدق لا ينثني . قال « فرانك نورييس » : « اني ما نزلت قط .. وما خلعت القبة للموضة ، ومددتها من اجل بنسات .. اقسم بالله اني قلت - آنذاك - لهم الصدق ! .. وسواء احبوه ، ام كرهوه ، فما شائي وذلك ؟ .. لقد قلت لهم الصدق .. كنت - آنئذ - موقنا انه الصدق .. واني اعرف - الان - انه الصدق . »

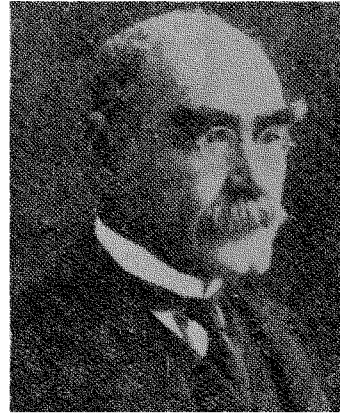
.. ( هذه كلمات جريئة . سوى انه من الصعب ان تعرف الصدق ، ذلك انه ليس ، بحكم الضرورة ، مضادا للكذب ) .. نظر كتاب هذه المدرسة الى الحياة نظرة اقل تحيزا ، من الجيل الذي سبقهم .. كانوا اقل عدوية ، واكل تفاؤلا ، واكثر عنفا ، واستقامة .. وكان حوارهم اكثر واقعية ، وشخصياتهم اختاروها من عالم امله كتاب القصة ، نوعا ما ، منذ ايام « ديفو » .. ولكنهم لم يبتعدوا في العمياء اي شيء . اما فيما يخص ضروريات القصة القصيرة ، فانهم ارتضوا النماذج انقديمة .. وكانت النتائج التي جدوا في طلبها ، النتائج نفسها التي توخاها « ادغار آلن بو » ، ذلك انهم استعملوا القالب نفسه الذي وضعه .. ان ميزاتهم تثبت جدارتها ، بينما يدل تكلفهم على الضعف .

مبعث اذلال .. كان قصصيا بارعا ، ومختلفا ، واصيلا .. وكانت لديه قدرة خلاقة ، وموهبة رفيعة الدرجة في رواية الحوادث بأسلوب درامي ، مذهل . كانت له اخطاؤه ، كما لكل كاتب .. اما اخطاؤه فكانت - فيما اظن - ترجع الى محيطه ، ونشأته . كان نفوذه على زملائه الكتاب بالفا .. ولعل نفوذه كان ذا اثر اشد من ذلك ، على اولئك الرجال الذين عاشوا ، بطريقة او باخرى ، حياة كالتى كان يعالجها . كان من المذهل ان يصادف المرء ، حينما كان يتجول في الشرق ، العديد من الرجال الذين جعلوا من انفسهم نماذج مطابقة للمخلوقات التي ابتكرها . يقولون ان شخصيات بلزك كانت اكثر انطباقا على الجيل الذي جاء بعده ، مما كانت على الجيل الذي اراد ان يصفه . انني اعرف ، من تجربتي ، انه كان هنالك - بعد مرور عشرين عاما على كتابة كيلنغ لقصصه الاولى المهمة - بعض الرجال المنتشرين في اطراف قصبة من الامبراطورية ، الذين ما كانوا ليصبحوا ما اصبحوه لولاه .. انه لم يخلق الشخصيات فحسب ، بل وصاغ ، ايضا ، الرجال .. كانوا رجالا شجعانا ، محترمين اولئك الذين ادوا الاعمال التي اوكلت اليهم ، على ضوء معرفتهم ، بكل ما لديهم من مقدرة : وانه لمن المؤسف ان يكونوا ، لاسباب لا حاجة بي الى ان اخوض فيها ، قد خلفوا وراءهم تركة مثقلة من الكراهية . ويفترض - عموما - ان روديارد كيلنغ نبه وعي الشعب البريطاني الى امبراطوريته .. ولكن هذه انجازات سياسية ، لا يجدر بسى ان اعالجها هنا . ان الشيء المهم بالنسبة لغرضي الحالي ، هو انه باكتشافه لما يسمى بالقصة الخارجية ، فتح مجالا مثمرا للكتاب . مسرح هذه القصة بلد لا تعرف اغلبية القراء عنه الا الشيء القليل .. وهي تعالج ردود الفعل حول الرجل الابيض ، في اقامته بالارض الغريبة ، والاثر الذي تركه عليه احتكاكه بشعوب من لون ، وجنس اخر . لقد مارس الكتاب الذين جاوا من بعده ، هذا الموضوع ، باساليبهم المختلفة .. سوى ان روديارد كيلنغ كان اول من اثار السبيل ، في هذا المجال الحديث الاكتشاف .. وما من احد استثمره بسحر رومنطيقى اكبر .. ما من احد قدمه بجلاء اشد ، وبمثل هذه الثروة من الالوان .. لسوف يجيء الوقت الذي يصبح فيه احتلال البريطانيين للهند تاريخا قديما .. اليوم الذي لن يثير فيه فقدان تلك المستعمرة الكبيرة من الشجون والاسى ، اكثر مما يثيره فقدان النورماندي ، واكويتين ، منذ بضعة قرون .. وعندها ، سيفهم ان روديارد كيلنغ ، في حكاياته الهندية ، في « كتب القابة » ، وفي « كيم » ، قد كتب اعمالا ستحتل بفخر ، مكانتها في ادبنا الانجليزي العظيم .

يسام الناس حتى من الاشياء الحسنة .. انهم يطالبون بالتغيير . ولنضرب على ذلك مثلا فنا اخر : وصلت الهندسة المعمارية ، في الحقبة الجورجية (1) ، كمالا نادرا .. كانت البيوت التي شيدت آنذاك ، حسنة

(1) نسبة الى الملك جورج

روديارد كيبليغ



( ٤ )

سوى أنه كان هنالك بلد لم تطف فيه الصيف الا قليلا . ففسي روسيا ، كانوا - طيلة جيلين من الزمن - يكتبون على نسق اخر . وعندما فرضت الحقيقة نفسها على انتباه كل من القراء ، والكتاب ، من أن ذلك النوع من القصة ، والذي لقي اقبالا ، ردحا من الزمن ، تحول الى شكل آلي ، ممل ، اكتشف انه كانت ، في ذلك البلد ، طائفة من الكتاب الذين جعلوا - الى حد ما - من القصة القصيرة شيئا جديدا . ومن الطريف ان يكون هذا الصنف المتنوع من الحكايات القصيرة قد أخذ زمنا طويلا ، لكي يصل الى العالم الغربي . حقا أن قصص « تيرجينيف » ترجمت الى الفرنسية . . . وانه لقي حظوة عند « الاخوين دي غونكور » (١) ، و « فلوير » ، والاساط المثقفة التي اختلطوا فيها ، وذلك بسبب علو مكانته ، ووفرة موارده ، ونشأته الاستقرابية . . . أما اعماله ، فقد لقيت اعجابا معتدلا ، كذلك الذي يمنحه الفرنسيون ، دائما ، لانتاج الكتاب الاجانب . . . كان موقفهم يشبه موقف « الدكتور جونسون » من قيام المرأة بالوعظ : « انه لا يؤدي بطريقة حسنة . . . ولكنك ستفاجأ لمجرد ان تجد انهن ادينه على الاطلاق » . ولم يصبح للداد الروسي ادنى تأثير على عالم باريس الادبي ، الا بعد ان نشر « ميلش يور دي فوغي » ، عام ١٨٨٦ ، كتابه « القصة الروسية » . . . بعدها ، وفي حوالي عام ١٩٠٥ ، فيما اظن ، ترجمت مجموعة من قصص « تشيكوف » الى الفرنسية . . . واستقبلت ، على العموم ، استقبالا حسنا . بقي شبه معروف ، فسي

(١) ادموند دي غونكور (١٨٢٢ - ١٨٩٧) ، وجوليوس دي غونكور (١٨٣٠ - ١٨٧٢) اخوان من النبلاء الفرنسيين . . . عرف عنهما جههما واخلاصهما التآدر لبعضهما البعض . . . كما عرف عنهما ، من جهة ، كرهما اللئبديد للموسيقى ، ومن جهة اخرى ، اهتمامهما البالغ بالادب ، حتى انهما تمردا ان يدعوا طائفة من كبار كتاب النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، من امثال رينسان ، وسينت بيف ، ولين ، وميتيميليه ، وفلوير ، وتيرجينيف ، وغيرهم السيسى حفلات العشاء المشهورة باسم « عند ماغتي » Chez Magny التي اقامها مرتين في الشهر . وفي هذه الحفلات ، كان الكتاب ، بعد ان تنتهي الرؤوس ، يتطلقون على سجاياهم ، فكان الاخوان دي غونكور يسجلان كل شاردة وواردة يقال . وعندما نشرت مذكراتهما ، التي كانت في الواقع اعصبالا ادبية تناولت النقد الادبي ، والخطفي ، والفني ، احدثت هزة بين القراء ، ونورة بين الكتاب الذين ذكروا فيها . والتجدير بالذكر ان اماره مونتاكو ، وبعد عدد من المحاكمات ، اصدرت - حتى الان - تسعة عشر مجلدا منها . . . ويقال ان مجلدات اخرى منها ستظهر في المستقبل . ( المترجم )

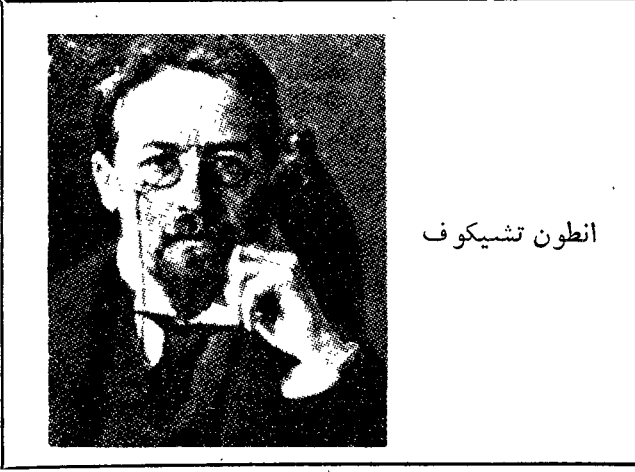
\* استقيمت هذه المعلومات من مقالة ، بعنوان « ثلاثة صحفيين »

لسومرست موم .

انجلترا . . . وعندما توفي ، عام ١٩٠٤ ، اعتبره الروس اكبر كاتب فسي عصره : ولم تجد الموسوعة البريطانية ، فسي الطبعة الحادية عشرة ، المنشورة عام ١٩١١ ، ما تقوله عنه اكثر من : « ولكن آ. تشيكوف اظهر قدرة كبيرة في قصصه القصيرة » . ثناء بارد . لم يهتم القراء الانجليز به ، الا بعد ان قامت السيدة « غارنت » باصدار نخبة من انتاجه الضخم ، في ثلاثة عشر مجلدا صغيرا . . . ومنذ ذلك الحين ، عدت شهرة الكتاب الروس ضخمة . لقد ساهمت الى حد بعيد ، في تحويل الكتابة ، وتفوق القصص القصيرة . يعرض القراء النقاد ، بلا مبالاة ، عن القصة المعروفة بانها « حسنة السمك » ، من الناحية التكنيكية . . . بينما لا يلقى الكتاب الذين ينتجونها - قياسا برضاء الغلبة الساحقة من الجمهور - الا النزر اليسير من الاعتبار .

ارخ (ديفيد ماعارشاك) حياة تشيكوف . انها سجل من الانجازات التي احزرت بالرغم من الصعوبات اربعة - الفقر ، والواجبات الثقيلة ، والمحيط المزجج ، والصحة المتهللة . . . ومن هذا الكتاب الشيق ، المدعم بالوثائق ، حصلت على الحقائق التالية : ولد تشيكوف عام ١٨٦٠ . . . كان جده قنا ، جمع مالا كافيا لشراء حريته ، وحرية ابناؤه الثلاثة . افتتح - فيما بعد - ادهم ، واسمه بافيل ، حانوتا السمانة ، فسي تاغانورغ ، الواقعة على بحر آزوف . . . وتزوج ، ورزق خمسة ابناء ، وابنة واحدة . كان انطون تشيكوف ابنه الثالث . . . أما بافيل فكان اميا ، احمق ، مقرورا ، انايا ، فظا ، متدينا . وبعد مرور سنوات عديدة ، كتب تشيكوف عنه : « اذكر ان والدي أخذ يعلمني ، وأنا في الخامسة . . . او دعني اقول ببساطة ، اخذ يجلدني وأنا لما ازل في الخامسة من عمري . لقد جلدني ، وكتمني ، وضربني على رأسي . . . وكان اول سؤال لي أسأله ، عندما افيق ، في الصباح ، من نومي ، هو هل سأجد اليوم ، مرة اخرى ؟ . . . كان اللعب ، او اللهو محظورا علي . . . وكنت ملزما بأن احضر الصلوات الصباحية والمسائية في الكنيسة ، وان اقبسل ايادي القسيسين والرهبان ، وان اقرأ الترانيم الدينية ، في البيت . . . وكان علي ، بعد ان يلفت الثامنة من العمر ، ان ارعى الدكان ، حيث عملت كاي ساع عادي . اثر ذلك في صحتي ، لانني كنت اجلد كل يوم . بعد ذلك ، وحينما أرسلت الى مدرسة ثانوية ، كنت أدرس حتى الظهر . . . بيد اني كنت ملزما بالجلوس في الدكان ، من الظهر ، حتى المساء » .

عندما بلغ انطون تشيكوف السادسة عشرة ، هرب ابوه الى موسكو ، حيث كان ابناه ، الكسندر ونيكولاس ، ملتحقين بالجامعة ، وذلك خشية ان يعتقل ، بعد ان تراكت عليه الديون . ترك انطون فسي تاغانورغ ، لمتابعة دراسته ، واعالة نفسه ، ما وسعه ذلك ، بتعليم الطلبة المتخلفين . وعندما حصل - بعد ثلاث سنوات - على شهادة الدراسة الثانوية ، ومنح خمسة وعشرين روبلا ، كبعثة دراسية ، انضم الى والديه ، في موسكو . وبما انه قرر ان يصبح طبيا ، فقد التحق بكلية الطب . كان - عندئذ - فتى ، طويل القامة ، يتوف قليلا عن ستسة اقدام ، ذا شعر بني خفيف ، وعينين بيضيتين ، وشفتين ممثلتين . وجد عائلته مقيمة في احد الطوابق السفلى ، في بناية مزرية ، خصص معظمها لبيوت الدعارة . احضر انطون معه اثنين من زملائه الطلبة ، لكي يقيما مع العائلة ، فدفعا اربعين روبلا ، في الشهر . . . بينما دفع نزيل ثالث عشرين روبلا . . . وبذلك اصبح المبلغ ، باضافة الخمسة والعشرين روبلا الخاصة بتشيكوف ، خمسة وثمانين روبلا ، يدفع منه الاجار ، ويمون منه تسعة اشخاص بالطعام . وسرعان ما انتقلوا الى شقة اوسع ، فسي الشارع القدر نفسه . . . اقام اثنان من النزلاء في حجرة ، بينما خصصت حجرة اصغر ، للنزيل الثالث . . . واقام انطون واثنان من اخوانه فسي حجرة ثالثة ، بينما اقامت امه واخته ، في حجرة رابعة . أما الحجرة الخامسة ، التي اتخذ منها حجرة للطعام والجلوس ، فكانت حجرة نوم اخويه ، الكسندر ونيكولاس . واخيرا ، حصل ابوه ، بافيل ، على عمل ، في احد المخازن ، حيث ائزم بأن ينام هنالك . . . وكان اجسره الشهري خمسة وثلاثين روبلا . وهكذا ، تخلصوا - الى حين - من الرجل الاحمق ، المستبد الذي حول حياتهم الى جحيم لا يطاق .



انطون تشيكوف

مهتمون بالأدب ...» وبعد عام ، كتب ، في رسالة الى اخيه الصغير ، ايفان : « انني اكسب من المال اكثر من اي من قادتك الصكريين .. ولكني لا املك اية نقود .. لا احصل على غذاء مناسب .. ليست لسي حجرة خاصة بي ، حيث استطيع ان اؤدي عملي .. وفي هذه اللحظة ، لا املك شروي تغير .. اني انتظر مطلع الشهر ، بفارغ الصبر ، عندما سانسلم ستين روبلا من بطرسبورغ ، سأنفقها ، على الفور » .

أصيب تشيكوف ، عام ١٨٨٤ ، بنزيف دموي .. كان داء السل في العائلة .. فلم يستطع الا ان يدرك ما الذي يدل هذا عليه .. سوى انه ابي ان يعرض نفسه على اخصائي ، خشية ان تتحقق مخاوفه .. ولكي يطمئن امه القلقة ، اخبرها ان النزيف ينتج فقط عن تفجر الاوعية الدموية ، في الحلق ، وان لا علاقة له مطلقا بالسل . وفي اواخر ذلك العام ، اجتاز امتحاناته النهائية ، واصبح طبيباً مؤهلاً . وبعد بضعة شهور ، جمع قدرا كافيا من المال ، لكي ينهب الى بطرسبورغ . انه لم يعلق على قصصه اية اهمية .. انها كتبت من اجل المال .. ولقد قال ان كتابة اية واحدة منها لم تأخذ منه ، اكثر من يوم واحد . فوجيء ، عند وصوله الى بطرسبورغ اذ اكتشف انه غدا مشهورا .. وجد الاشخاص الاذكياء في بطرسبورغ ، التي كانت - آنذ - المركز الثقافي في روسيا ، في قصصه ، على صفرها ، عذوبة ، وحيوية ، ووجهة نظر اصيلة . احتفوا به .. لقد حمل على الاعتقاد بأنه ينظر اليه على انه واحد من اكبر الكتاب الموهوبين في عصره . عرض عليه المحررون ان يرسل صحفهم ، مقابل اسعار لم ينل مثلها من قبل .. وحته احد كبار المحررين في روسيا ، ان يقلع عن كتابة القصص التي تعود ان يكتبها ، وان يشرع في كتابة قصص جادة الطابع .

تأثر تشيكوف بتلك الحفاوة ، الا انه لم يشأ قط ان يصبح كاتباً محترفاً .. قال : « الطب زوجتي الشرعية .. اما الادب فمسيقتي فقط » .. وعندما عاد الى موسكو ، كان مزعماً ان يكسب قوت يومه من حرفته كطبيب . يجب الاعتراف بأنه لم ينل الا القليل من الجهد ، لكي ينشئ لنفسه عيادة ناجحة .. فقد جمع حوله طائفة من الاصدقاء ، الذين قاموا بإرسال المرضى اليه .. سوى انهم قلما دفعوا له اجر اعنابه . كان مرحاً ، جذاباً .. وكان ، بضكته الرنانة ، المعديّة ركناً من اركان الاوساط البوهيمية التي تعود ان يتردد عليها . أحب حضور الحفلات واقامتها .. كان يشرب بحرية .. غير انه قلما كان يشمل ، اللهم الا في حفلات الزفاف ، وايام الاسم ( ترداد بالروسية ايام الميلاد ) ، والاحتفالات الدينية .. كانت النساء يجندن جذاباً ، فكان له عدد من العلاقات الغرامية . سوى انها كانت غير مهمة . وبمرور الزمن ، قام بزيارات عديدة الى بطرسبورغ ، وتجول هنا ، وهناك في روسيا .. وكان ، في كل ربيع ، يحمل عائلته كلها - تاركا خلفه مرضاه ليعتنوا بانفسهم - الى الريف ، حيث كانوا يقيمون حتى فصل الخريف . كان المرضى ، بمجرد ان يعرفوا انه طبيب ، يتقاطرون اليه زرافات ووحداً ، للاستشارة الطبية .. ولم يدفعوا له ، بالطبع ، اي شيء . ولكي

كانت لانطون موهبة ارتجال القصص الفكاهية التي - كما يقال لنا - اقيمت اصدقاؤه في نوبات من الضحك . ونظرا لحالة عائلته اليانسة ، فقد فكر في ان يجرب يده في كتابتها . كتب واحدة ، وارسلها الى مجلة اسبوعية ، في بطرسبورغ ، تدعى « الفراشة الثلثين » .. وفي عصر احد ايام كانون الثاني ( يناير ) ، اشترى ، في طريق عودته من كلية الطب ، نسخة منها ، ووجد ان قصته قبلت ، وانه سيتقاضى خمسة كوبيكات عن كل سطر . وبوسعي ان اذكر القارئ ان الروبل كان يساوي شلنين ، وانه كان يتألف من مائة كوبيك . وعليه ، فان المبلغ المعروض كان حوالي بنس للسطر الواحد . ومنذ ذلك الحين ، دأب تشيكوف على ارسال قصة « للفراشة الثلثين » ، كل اسبوع تقريبا .. سوى ان بضع قصص منها قبلت . ولكنه ، على كل حال ، أرسلها الى صحف موسكو ، التي لم تكن قادرة على ان تدفع الا النزر اليسير ، فقد كانت تعاني ازمات خانقة ، حتى ان المراسلين كانوا - بغية الحصول على اجورهم الزهيدة - ينتظرون في المكاتب ، الى ان يعود الصبية بالكوبيكات التي جمعوها ، من بيع الصحف ، في الشوارع . محرر من بطرسبورغ ، اسمه لا يكن ، هو الذي اعطى تشيكوف تفويضا بان يكتب قصة اسبوعية ، من مائة سطر ، مقابل ثمانية كوبيكات لكل سطر . كانت صحيفة هزلية .. وعندما كان تشيكوف يرسل ، من حين الى اخر ، قصة رزينة ، كان « لا يكن » يحتج بان قراءه لا يريدون هذا النوع من القصص . ومع ان القصص التي كتبها لقيت اعجابا شديدا ، واكسبته شيئا من الشهرة ، الا ان الحدود التي فرضت عليه ، والمتعلقة بكل من طول ومضمون كتاباته ، ضايقته .. وهكذا ، ولكي يرضيه ، حصل لا يكن - الذي كان على ما يبدو ، رجلا عاقلا ، وعطوفا - على عرض من صحيفة « بطرسبورغ غازيت » ، يخوله بكتابة قصة اسبوعية اطول ، وذات مضمون مختلف ، بالسعر نفسه ، الا وهو ثمانية كوبيكات للسطر الواحد . ومن عام ١٨٨٠ ، حتى عام ١٨٨٥ ، كتب تشيكوف ثلاثمائة قصة !

كانت من قصص البطون (١) .. ويقول لنا قاموس « اكسفورد » ان هذه الكلمة تطلق ، استحقاقا ، على العمل الادبي ، او الفني الذي يتم تنفيذه بقصد الحصول على المعيشة .. انه اصطلاح يستحسن ان يسقط من مفردات الصحفيين الادباء .. يجب ان اقول ان الكاتب الشاب الذي يكتشف ان لديه حافظا خلاقا يدفعه للكتابة ( واما كيف سيملكه ، فذلك سر من الصمب ادراكه ، تماما كشاشة الجنس ) ، قد يحسب ان حافظه قد يجلب له الشهرة .. ولكنه بالتأكيد ، قلما ينتظر ان يجلب له المال .. وفي ذلك خير له ، لان هنالك احتمالا كبيرا بالا يجلب له ذلك ، في بدايته . ولكنه لا يستطيع - حينما يقرر ان يصبح كاتباً محترفاً ، بقصد اكتساب قوته - الا يكثر بالتقود التي ستجلبها له موهبته . اما قراؤه ، فلا شأن لهم بالحافظ الذي يدفعه للكتابة . في الوقت الذي كان تشيكوف يكتب فيه هذا العدد المذهل من القصص ، كان يعمل ايضا ، في كلية الطب ، للحصول على الدبلوم . لم يكن بوسعه ان يكتب الا ليلا ، بعد ان يفرغ من عمل يومه المضني ، في المستشفى . كانت الظروف المحيطة بكتابتة صعبة .. لقد تخلصوا من النزلاء ، وانتقلت عائلة تشيكوف الى شقة اصغر .. سوى ان « في الحجر المجاورة » ، هكذا كتب الى لا يكن ، « بيكي ابن قريب لي ، ( ابن اخيه الكسندر ) .. وفي حجرة اخرى ، يقرأ ابي لامي ، بصوت مرتفع ، احدي قصص ليسكور .. لقد قام احدهم بمسء صندوقنا الموسيقي ، فاني اسمع « هيلين الجميلة » (١) . ويرقد في سريري قريب لي ، حل ضيفا علينا ، لا يفتأ يجيء الي ، كل دقيقة ، وياخذ في الحديث عن الطب .. الطفل يصرخ !.. لقد قررت ، قبل قليل ، الا يكون لي اطفال .. اظن ان ليس للفرنسيين سوى قلة قليلة من الاطفال ، لانهم قوم

(١) الكلمة باللغة الانجليزية هي Potboilers ، وترجمتها بالمثل الذي اوردته مجرد اجتهاد . ( المترجم )  
(١) اوبرا فكاهية للموسيقار جاك اوفنباخ ( المترجم )

# أنا والصخرة والرحيل

على كتفيء أحملها ،  
 كأن وجودها صخره  
 وأصعد عالمي المجهول ، أنظر ما وراء الغيب  
 من خلف الزجاج ، أراه مطويا .  
 وأسألها عن الدرب  
 فيجھش صمتها الأعمى .  
 خواء كل ما ألقاه ، وهي تسد لي دربي  
 حملتك في دمي تلجا  
 وفي عيني ليلا مظفاً الجذوه  
 حملتك ، آه يا قلدي . .  
 أطل ممزق الكتفين ، أرحل عمري المنذور ،  
 في بحر من الرغوه  
 فقاعات تنش كأنها بركان ، لا دفء ولا نار  
 ويرهقني الرحيل ، أطل منشوراً على الأفق  
 قراري أحرص الكلمات ، ينشج في عروقي الموت  
 والشهوه

فصبي الموت ، يا صخره  
 على كتفيء ، في زنديء ، صبي الموت واحترقي  
 يظل الوهج في عينيء ، من خلف الزجاج ، يشع بالالقي  
 \*\*\*  
 شموعي أطفأها الريح -  
 هل من يشعل الشمعه ؟  
 تبدل في عروقي الدفء ، أمطرت الليالي السود جردانا  
 عناكب تثقل الطرقات ، يا ويلي . .  
 كأن الارض كهف موغل العتمه  
 وأخفق في فمي الكلمات ، تلمع من عيوني دمعة دمعة .  
 على كتفيء أحمل ألف تاريخ وأصعد قمة القمه ؟

\*\*\*  
 سدى . لن تعثر الخطوه  
 سدى . لن تطفأ الجذوه  
 هنا ، في رحم الغيب ، تهل منابع القوه  
 فصبي الموت واحترقي  
 يظل الوهج في عينيء ، من خلف الزجاج ، يشع  
 بالالقي .

راضي صدوق

عمسان

يكسب المال ، لم يجد بدا من ان يكتب القصص . . كانت مطردة النجاح  
 . . ونفاضى عنها اسعارا حسنة . . سوى انه وجد ان من السنخيل  
 عليه ان يعيش حسب امكانياته . كتب ، في احدى رسائله السى لا يكن ،  
 يقول : « تسألني عما اصنع بنقودي . . اني لا احيا حياة مترفة . . ولا  
 انجول بشباب كتياب المئات . . لست مديونا ، بل اني لست محتاجا لان  
 احتفظ بعشيقه ( فانا انال الحب مجانا ) . . بيد اني ، مع كل ذلك ، لا  
 املك من الثلاثمائة روبل انتي تسلمتها منك ، ومن « سوفيرين » ، قبل  
 عيد الفصل ، سوى اربعين روبلا ، علي أن ادفع منها ، غدا ، اربعين  
 روبلا . . الله وحده يعلم اين تذهب نقودي . « وقد انتقل السى شقة  
 جديدة ، حيث حصل ، اخيراً ، على حجرة خاصة به . . ولكنه اضطر ان  
 يرجو لا يكن ان يرسل اليه مقدما ، مبلغا من المال ، لكي يدفع الايجار . .  
 وفي عام 1886 ، اصيب بنزيف دموي آخر . ادرك ان لا بد له من ان  
 يذهب الى منطفة القرم ، حيث كان المصابون بالسل يذهبون - في ذلك  
 الوقت - سعياً وراء المناخ الدافئ ، مثلما كانوا يذهبون ، في اوروبا  
 الغربية ، الى الريفيرا الفرنسية ، والبرتغال . . ثم يموتون كما يموت  
 الذباب . ولكنه لم يكن يملك روبلا واحداً للسفر . وفي عام 1889 ،  
 توفي اخوه نيكولاس ، الذي كان رساما على شيء من المهية ، بداء  
 السل . . كانت وفاته صدمة ، ونذيراً . . وما ان جاء عام 1892 ، حتى  
 بلغت صحته من السوء حدا خشي معه ان يمضي شتاء اخر في موسكو . .  
 فافترض مبلغا من المال ، اشترى به عقارا صغيرا ، قرب قرية تدعى  
 « ماليخوفو » ، على بعد خمسين ميلا من موسكو . . وحمل - كالعناد -  
 عائلته معه ، آباء الصعب ، وأمه ، واخته ، واخاه ميكائيل . . أحضر  
 حمولة عربية من العقاقير الطبية ، فتعلق المرضى ، مثلما فعلوا ابدا ،  
 حوله لاستشارته . . عالجهم ، ما وسعه ذلك . . ولم يتقاض منهم  
 كوييكا واحدا .

على هذا المنوال ، أمضى خمسة اعوام في ماليخوفو ، كانت - على  
 العموم - اعواما سعيدة . لقد كتب عددا من اروع قصصه هنالك ، وكوفيء  
 عليها بسخاء ، حيث دفع له اربعون كوييكا على السطر ، اي حوالي  
 الشلن . شغل نفسه بالعلاقات المحلية ، فاثمرت مساعيه بانشاء طريق  
 جديدة ، وشيد المدارس للفلاحين على نفقته الخاصة . جاء اخوه  
 الكسندر ، الذي عرف عنه بأنه سكير ، وزوجته ، وابناؤه . لكسي يقيموا  
 معه . كذلك توافد الاصدقاء ، احيانا ، لزيارته ، فكانت زيارتهم تطول  
 الى بضعة ايام . ومع انه شكنا من انهم يتدخلون في عمله ، الا انه لم  
 يستطع ان يحييا بدونهم . وبالرغم من مرضه ، بقسي بشوشا ، دمت  
 الاخلاق ، ودودا ، مرحا . تردد ، بين الحين والآخر ، على موسكو ، في  
 زهات قصيرة . وفي احدى هذه المناسبات ، عام 1897 ، أصيب بنزيف  
 دموي شديد ، نقل على اثره الى عيادة طبية ، حيث كان الموت منه قاب  
 قوسين ، او ادنى ، لعدة ايام . لقد رفض دائما أن يصدق انه مصاب  
 بداء السل . سوى ان اطباء ، بعد ذلك ، اخبروه ان الجزء العلوي من  
 الرئتين مصاب . . وانه ، اذا شاء ان يعيش ، يجب ان يغير اسلوبه ، في  
 الحياة . عاد الى ماليخوفو . . الا انه ادرك انه لن يتمكن من قضاء  
 شتاء اخر هناك . سافر الى الخارج ، الى بياريتس ، ونيس . . واستقر  
 به المقام ، اخيرا ، في يالطة ، في القرم . نصحه الاطباء بأن يقيم هناك  
 اقامة دائمة . . فشيء لنفسه منزلا ، هناك ، بسلفة مالية من صديقه ،  
 ورئيس تحريره ، سوفيرين . . كان كعادته ، يعاني مصاعب مالية مريعة .  
 تسبب عجزه عن ممارسة مهنة الطب ، بصدمة قاسية له . . لست  
 ادري اي نوع من الاطباء كان . . فبعد تخرجه ، لم يمارس التطبيب اكثر  
 من ثلاثة شهور ، في احد المستشفيات . ويخيل السى ان معاملته لمرضاه  
 كانت سريعة ، وعنيفة نوعا ما . . سوى انه كان انسانا ذا منطق ،  
 وعاطفة . . ولربما كان من المقدر له أن يؤدي الى مرضاه ، من الخدمات ،  
 ما يؤديها امرؤ اوسع اطلاعا ، لو انه ترك الطبيعة تأخذ مجراها . .  
 وهكذا ، فقد استفاد من الخبرات المتباينة التي حصل عليها . أن لذي  
 اسبابا تدفعني الى الاعتقاد بأن التدريب الذي يحصل عليه طالب الطب ،  
 - التتمة على الصفحة 58 -



## القصة القصيرة

— تنمة المنشور على الصفحة ٤١ —

مفيد للكاتب .. انه يكتسب معرفة بطبيعة الانسان ، وهي ما لا يقدر بشئ .. انه يراها في احسن ، واسوأ حالاتها .. فاذا ما مرض الناس ، او خافوا ، اسقطوا عنهم الفئاع الذي يتقنمون به ، وهم اصحاء .. ولكن الطبيب يراهم على حقيقتهم ، انانيين ، قساة ، جشعين ، جناء .. سوى انهم ايضا ، شجعان كرماء ، سمحاء ، عطفون .. انه صابر على ضعفهم ، مرتعب من فضائلهم .

تحسنت صحة تشيكوف في بالطة ، على الرغم مما ألم به هناك من ضجر .. ان الفرصة لم تتح لي ، حتى الان ، لكي اقول ان تشيكوف كتب ، في هذه الاونة ، الى جانب العدد الغزير من قصصه ، تمثيليتين ، او ثلاث تمثيليات ، لم تلق نجاحا كبيرا .. وتعرف ، بواسطتها ، على مثلة شابة اسمها « اولغا كنيير » . اغرم بها ، وتزوجها عام ١٩٠١ ، على الرغم من استياء عائلته الشديد ، والتي لم ينقطع عن اعالتها .. وانفق على ان تستأنف التمثيل .. وهكذا ، لم يجتمعا الا حينما كان يذهب الى موسكو لرؤيتها ، او عندما كانت ، بقصد الاستراحة — كما يقولون في الاوساط المسرحية — تذهب الى بالطة . لقد حووظ على رسالته اليها ، وهي رسائل حنونية ، ومؤثرة . لم يدم التحسن الذي طرأ على صحته طويلا ، ففدا مريضا جدا . سعل كثيرا ، ولم يستطع ان ينام .. ولشد ما كان حزنه عميقا ، عندما اجريت لاولغا كنيير عملية اجهاض .. لقد حث تشيكوف طويلا ، على ان يكتب رواية فكاهية ، خفيفة .. وهي ما كان يريد الجمهور . وعلى الفور ، ولكي يرضيها ، فيما اظن ، ابتداء في الكتابة . كانت ستدعى « بستان الكرز » .. ووعد اولغا بان يكتب لها دورا حسنا . لقد كتب الى صديق له : « انني اكتب اربعة سطور ، في اليوم .. ولكن ، وحتى ذلك يسبب لي الاما لا تطاق » . انتهى من كتابتها ، واخرجت في موسكو ، في أوائل عام ١٩٠٤ . وفي شهر حزيران ( يونيو ) التالي ، ذهب — بناء على نصيحة طبيبه — الى ينابيع المياه المعدنية ، في بادن فاير ، بالمانيا . كتب روسي شاب ، من اهـل القلم ، عرضا لمقابلة له مع تشيكوف ، عشية رحيله .. انسي افتبس السطور التالية ، من « حياة ماغارشاك » :

« جلس رجل نحيف جدا ، وصغير كما يبدو ، بمنكبيه الضيقين ، ووجهه الضيق ، الخالي من الدم ، على اريكة ، تسنده الوسائد ، وقد ارتدى معطفا ، او رداء نقيسلا ، وغطت سجادة ساقيه هكذا اصبح تشيكوف ، منهوك القوى ، لا يمكن التعرف عليه .. انني ما كنت لاصدق ان انسانا ما يمكن ان يتفيز الى هذا الحد .

« مد الي يده الضعيفة ، البياض كالشمع ، التي راعني ان انظر اليها .. وحملق في عينيه الرقيقتين .. الا انهما لم تعودا تبسيمان ، « قال : اني راحل غدا .. سأبتعد لكي أموت .

« لقد استعمل كلمة اخرى .. كلمة اشد قسوة من « لكي أموت » ، والتي لا اريد ان اكرها الان .

« كرم مؤكدا : اني سأبتعد لكي أموت .. قل لاصدقائك وداعا ، نيابة عني .. قل لهم اني ما ازال اذكرهم ، وانني مولع جدا ببعضهم .. احمل لهم تمنياتي بالنجاح ، والسعادة .. اننا لن نلتقي ابدا » .

في البداية ، تحسنت صحته ، في بادن فاير ، تحسنا كبيرا ، حتى انه اخذ يضع الخطط للسفر الى ايطاليا . وذات مساء ، حينما ذهب الى الفراش ، بعد ان امضت اولغا اليوم بكامله معه ، أصر على ان تذهب لكي تنمشى في المنتزه . وعندما عادت ، سألها ان تنزل لتتناول عشاها .. سوى انها اخبرته ان الوقت لم يحن بعد . ولكي يمضيا الوقت ، راح يقص عليها قصة منتجج ، يقصده الناس في عطلاتهم ، زاحر بالزوار الثنائين ، واصحاب البسوك البسندن ، والامريكيين ،

والبريطانيين الاصحاء . « وذات مساء ، عادوا جميعهم الى فندقهم ، ليجدوا ان الطباخ هرب ، وانه لم يكن هنالك من عشاء ، فسي انتظارهم » .. ومضى تشيكوف يصف كيف تلقى كل واحد ، من هؤلاء المترفين ، الصدمة . قصها بتندر فكه ، حتى ان اولغا كنيير ضحكت ملء شدقيها . ورجعت اليه بعد العشاء .. كان تشيكوف مستريحا بهدوء .. وفجأة ، اخذت صحته تتدهور ، فاستدعي الطبيب .. لقد جهد جهده ، الا ان ذلك لم يجد نفعا .. وتوفي تشيكوف .. وكانت كلماته الاخيرة بلالمانية ، « اني أموت » .. كان في الرابعة والاربعين من عمره .

كتب الكسندر كوبرين في مذكراته عن تشيكوف « اظن انه لم يفتح ، او يعط قلبه ، بشكل كامل ، لاحد .. ولكنه نظر الى كل امرئ برقة ، وبلا مبالاة بالنسبة للصدقة .. ولكن ، وفي الوقت نفسه ، باهتمام بالغ ، ولعله فعل ، دون ان يعي ذلك » . ان هذا القول يميظ اللثام ، الى ابعد الحدود .. انه يعطينا فكرة ، عن تشيكوف ، اشمل واعم من اي من الحقائق التي اتاحت لي الفرصة لروايتها ، في هذا العرض القصير لحياته

( ٥ )

كانت معظم قصص تشيكوف الاولى فكاهية . لقد كتبها بمنتهى السهولة .. قال انه يكتب مثلما يفرد الطائر .. ولم يعرها ادنى اهمية . لم يحمل تشيكوف نفسه محمل الجدل الا بعد زيارته الاولى لبترسبورغ ، حينما اكتشف انه قبل ككاتب موهوب ، ينظره مستقبل رحب . عندها ، عزم على ان يحذف فنه .. وذات يوم ، وجدته صديق يشخ احدي قصص تولستوي . ولما سألها عما يفعل ، اجاب : « اعيسد كتابتها » . صقع صديقه اذ رآه يتصرف ، في عمل الاستاذ ، يمثل هذه الحرية .. بينما اوضح تشيكوف انه كان يفعل ذلك بقصد التمرين .. لقد حمل فكرة ( وكل ما ادريه انها فكرة صائبة ) مفادها انه ، بعمله هذا ، يستطيع ان يتعلم اساليب الكتاب الذين اعجب بهم ، ومن ثم يستنبط اسلوبه الخاص . ووضح ان عمله لم يذهب سدى .. لقد تعلم كيف يكتب قصصه بمهارة تامة : فان انسجام السبك في قصة « الفلاحين » — على سبيل المثال — لا يقل بحال عن مستوى سبك « مدام بوفاري » لفلوير . لقد عود تشيكوف نفسه على ان يكتب ببساطة ، ووضوح ، وايجاز . ويقال لنا انه انجز اسلوبا رائع الجمال .. ان علينا — نحن الذين نقسراه مترجما — ان نتقبل ذلك بثقة ، لان النكهة ، والاحساس ، وعذوبة كلمات الكاتب تضيع حتى في ادق الترجمات .

كان تشيكوف شديد الاهتمام « بتكنيك » القصة ، وابدى فيه الكثير من الآراء الممتعة ، غير المألوفة .. طالب بالا تضمين القصة اية نافلة . كتب يقول : « يجب ان يحذف منها كل ما ليس له صلة بها .. فاذا قلت ، في الفصل الاول ، ان بندقية علق على الحائط ، فيجب التأكد من ان النار تطلق منها في الفصل الثاني ، او الثالث » . يبدو ان هذا معقول .. ومعقولة ايضا دعواه بان يكون وصف الطبيعة مقتضيا ، وفي صلب الموضوع . لقد استنطاع هو ان يعطسي القارئ ، بكلمة او اثنتين ، انطباعا واضحا عن ليلة صيف ، حينما غردت البلابل اكبادها .. او عن الرونق البارد للاصقاع المترامية الاطراف ، تحت ثلوج الشتاء . كانت تلك موهبة فذة . ان شكى لكبير في انتقاده المرير لاعطاء الصفات الانسانية للاشياء غير الانسانية . كتب في احدي رسالته : « يضحك البحر .. لا شك ان سعادتك بذلك غامرة .. سوى ان ذلك رخيص ، وسخيف .. فالبحر لا يضحك ، او يبكي .. انه يزأر ، يلمع ، يبللا .. انظر كيف يقولها تولستوي : « تشرق الشمس وتقرب .. وتفرد الطيور » .. فليس هنالك من يضحك ، او يبكي .. ان الشيء الرئيسي هو : « البساطة » . انه لقول حق .. سوى اننا — بعد كل شيء — دأنا ، منذ الازل ، على ان نشبه الطبيعة بالانسان .. ويتوفر لنا ذلك دونما تكلف ، او تصنع .. وان تجنبه لن يتم الا بفسط مسن العناية . ان تشيكوف نفسه لم يلتزم دائما بهذا .. ففي قصته « الميازرة » ، يخبرنا

.. وحنونا ، عاطفيا دونما تعلق .. ومحسنا دون ان يتوقع الشكر  
والعرفان ..

ولكن سلبية تشيكوف هذه أثارت غضب عدد كبير من زملائه الكتاب،  
فهجوم بوحشية . كانت التهمة الموجهة اليه هي الامبالاة بأحداث ،  
وظروف زمنه الاجتماعية التي كانت الطبقة المفقدة ترى أن واجب الكاتب  
الروسي يحتم عليه أن يعانجها . وكان رد تشيكوف ان مهمته الكاتب  
تنحصر في رواية الحقائق ، وان عليه ان يترك للقراء ان يقرروا ما الذي  
يجب عمله حيالها . لقد اصر على ان الفنان لا يجب ان يدعى لكي يحل  
المشاكل الضيقة الاختصاص . قال : عندنا اخصائيو معالجة المسائل  
الخاصة .. ان الحكم على المجتمع ، ومصير الرأسمالية ، ورذيلة  
السكر تقع في نطاق اختصاصهم .. « يبدو ان ذلك معقول .. ولكن ،  
وبما أن وجهة النظر هذه تبحث - في هذه الأونة - على نطاق واسع ،  
في عالم الفكر واتقلم ، فاني سأنتجراً بان اقتبس بعض الملاحظات التي  
اوردتها ، منذ عدة سنين ، في محاضرة القيتها في رابطة الكتاب الوطني .  
قرأت ، ذات يوم - كما كانت عادتي - الصفحة الأدبية التي تخصصها  
احدى مجلاتنا الاسبوعية لدراسة الاتجاهات الأدبية المعاصرة . وفي هذه  
المناسبة بالذات ، افتتح الناقد تفريلتزه عمل قصصي نشر مؤخرا ،  
بالكلمات التالية : « السيد فلان الفلاني ليس قصصيا فحسب .. »  
التصقت كلمة « فحسب » في حلقى .. وفي ذلك اليوم - مثل باولو  
وفرانسيسكا ، في مناسبة اخرى - لم استرسل في قراءة . هذا  
الناقد نفسه قصصي معروف .. ومع ان الحظ لم يسعدني بان اقرأ اي  
عمل من اعماله ، الا ان الشك لا يخامرني مطلقا ، بانها اعمال جديرة  
بالعجاب . سوى انه لا يسعني الا ان استخلص من عبارته ان القصصي  
في رأيه ، يجب ان يكون ، بطريقة ما ، أكثر من قصصي . من الواضح  
انه - مع اني ابدي هذا الرأي بشيء من الشك - يقبل الرأي السائد  
عند الكثيرين من الكتاب المعاصرين ، والقائل انه من المستخف - نظرا  
لحالة العالم الذي نعيش فيه المضطربة - ان يقوم كاتب بخاتبة قصص  
تستهدف فقط مساعدة القارئ على ان يمضي بضع ساعات ممتعة . وكما  
نعلم ، فان اعمالا مثل هذه تهمل بازدياد ، وتوصف بانها تهرب .. وتلك  
كلمة مثل « البطون » ، يجب ان تسقط من مفردات النقاد .. فان كل  
تهرب ، سواء أكان سيمفونيات موزارت ، او مناظر كونستابل الطبيعية .  
فلم ، أذن ، نقرأ قصائد شكسبير ، او قصائد كيتس الفنائية ، ان لم يكن  
من اجل المتعة التي توفرها لنا ؟ . ولم نطلب من الروائي أكثر مما نطلب  
من الشاعر ، او الموسيقار ، او الرسام ؟ . لا يوجد ، في الواقع ، شيء  
اسمه قصة « مجردة » . فحينما يكتب الكاتب قصة - دون ان تكون  
نواياه ، احيانا ، أكثر من ان يجعلها مقروءة - يقدم ، شاء ذلك ام أبى ،  
نقدا للحياة . فعندما كتب روديارد كفيلنج ، في كتابه « حكايات  
بسيطة من التلال » ، عن المدنيين الهنود ، ولأعبي البولو من الضباط  
وزوجاتهم ، كتب باعجاب ساذج لصحفي شاب ، وضع النسب ، مبهور  
بما حسب انه أبهة . شيء مذهل الا يكون احد قد رأى - آتذ - في  
تلك القصص ، تهمة دامية للقوة الفاشمة . انك لا تستطيع ان تقرأها  
الان ، دون ان تتأكد من حتمية اجبار الانجليز - ان عاجلا او آجلا -  
على تسليم سلطانهم على الهند . كذلك كان الحال مع تشيكوف ..  
فانك لا تستطيع ان تقرأ قصصه - على ما ارتضاه لنفسه من حيايد ،  
ورغبة في وصف الحياة وصفا امينا - دون ان تحمل على الاعتقاد بان  
القسوة ، والجهل اللذين كتب عنهما ، والفساد ، وفقر البائسين المدقع ،  
وقلة اكترت الاغنياء لا بد وان تسفر عن ثورة دموية .

اني اعتقد ان معظم الناس يقرأون الاعمال القصصية لانهم لا يجدون  
شيئا اخر لكي يعملوه .. انهم يقرأون من اجل المتعة ، وذلك ما يجب  
ان يفعلوه . سوى ان اخلاط الناس يريدون ان يحصلوا - من قراءتهم  
- على مختلف المتع ، ومن بينها متعة الاعتراف . ان القراء الذين عاصروا  
« بارتشستر كرونكلز » لتيريلوب ، قرأوها بلذة فائقة ، لانها صورت

ان « نجما بزغ ، وغمز ، بخفسر - بعينه الوحيدة » . ليس لسي اي  
اعتراض على هذا ، بل انه - في الواقع - يعجبني . لقد قال لآخيه  
الكسندر - وهو ايضا كاتب قصص قصيرة ضعيف الموهبة - ان على  
الكاتب الا يصف مشاعر تم يشعر بها بنفسه . ذلك قول صعب .. فليس  
ضروريا - بالتأكيد - ان ترتكب جريمة قتل ، لكي تصف بافئاع تمام ،  
الاحاسيس التي يحسها القاتل ، عندمما يرتكب جريمته .. ان لدى  
الكاتب ، على كل حال ، خياله .. فاذا كان كاتباً كفؤا ، فانه يملك القدرة  
على ان يتخيل نفسه في مكان الشخصيات التي اخترعها . بيد ان اعنف  
ما طالب تشيكوف به هو ان يحذف الكاتب بداية ونهاية قصصه .. كان  
هو نفسه يفعل ذلك ، وبشكل صارم ، حتى ان اصداقاه كانوا يقولون ان  
مخطوطاته يجب ان تختطف منه ، قبل ان تتاح له فرصة تشويهها ،  
« والا فانه سينقص قصصه الي هذا فقط ، وهو اتهمنا كانا فتيين ،  
واحبا بعضهما بعضا ، وتزوجا ، وكانا غير سعيدين » . وعندما قيل هذا  
لتشيكوف ، رد قائلا : « خذ في اعتبارك ان هذا ما يحدث ، في  
الواقع » .

اتخذ تشيكوف من موبوسيه نموذجا له . اني ما كنت لاصدق هذا ،  
لو لم يقله لنا بنفسه ، ذلك ان اسلوبيهما ، واهدافهما بدوا لي مختلفة  
تماما ، فقد كان موبوسيه يطمح - بصفة عامة - الى ان يجعل قصصه  
درامية . ولكي يفعل هذا ، كان - كما قلت من قبل - مستعدا ، اذا  
قضت الضرورة ذلك ، ان يضحي بالمعقول . واني لاميل الى الاعتقاد بان  
تشيكوف تجنب كل ما هو درامي . لقد عالج ناسا عاديين ، بحيون حياة  
عادية . كتب في احدي رسائله : « لا يذهب الناس الى القطب الشمالي ،  
لكي يسقطوا عن الجبال الثلجية .. انهم يذهبون الى المكاتب ..  
يتشاجرون مع زوجاتهم .. يخسسون حساء الملقوف » . بوسع المرء ان  
يعترض بحق ، على هذا بان الناس يذهبون - بالفعل - الى القطب  
الشمالي .. وانهم ، وان لم يسقطوا عن الجبال الثلجية ، يتعرضون  
لمفامرات لا تقل خطورة عن ذلك .. وانه لا يوجد ادنى سبب يحول دون  
ان يكتب كاتب قصة ممتازة عنهم . من الواضح انسه لا يكفي ان يذهب  
الناس الى مكاتبهم ، وان يخسروا حساء الملقوف .. وانسي لا اعتقد ان  
تشيكوف حسب ابدا ، ان الامر كان على النحو التالي : لكي تكون هنالك  
قصة ، فان عليهم - بالتأكيد - ان يختلسوا مبالغ المصروفات الثرية  
المودعة في مكاتبهم ، او ان يقبلوا الرشاوى ، او ان يضرروا زوجاتهم  
او يخدعوهن ، او ان تكون لاحسانهم حساء الملقوف اية اهمية . انها  
تصبح - عندئذ - نموذجا اما للحياة المنزلية السعيدة ، او لعذاب  
الحياة التعيسة .

حيات حرفة تشيكوف الطيبة له - مع انها كانت متقطعة - الاتصال  
باخلاط شتى من الناس ، من فلاحين ، وتجار ، وعمال المصانع ،  
واصحاب المصانع ، وصغار الموظفين الذين لعبوا دورا مدبرا في حياة  
الشعب ، وملاك الاراضي الذين حلت بهم الفاقة اثر تحرير عبيد الارض .  
ولا يبدو انه اتصل قط بالطبقة الارستقراطية . اني اعرف قصة واحدة  
- القصة المريرة المسماة « الاميرة » - اهتم فيها بتلك الطبقة . لقد  
كتب بصراحة جريئة عن فشل مالكي الاراضي الذين تركوا ممتلكاتهم  
نهب للدمار .. وعن الزمرة البائسة من عمال المصانع الذين عاشوا على  
شيفر المجاعة ، وعملوا اثنتي عشرة ساعة في اليوم ، حتى يتسنى  
لاصحاب الاعمال ان يضيفوا ممتلكات الى اخرى .. وعن حقارة وجشع  
طبقة التجار .. وعن قذارة ، وسكر ، وقسوة ، وجهل ، وكسل الفلاحين  
المخوسيين الاجور ، الجائعين ابدا ، وعسن الزرائب الخبيثة الرائحة ،  
الموبوءة بالحشرات ، والهوام ، والفئران التي عاشوا فيها .

كان بوسع تشيكوف ان يعطي الاشياء التي يصفها واقعية نادرة ..  
انك تقبل ما يقال لك ، مثلما تقبل وصف حادث نقله مخبر متوثق به ..  
سوى ان تشيكوف لم يكن ، في الواقع ، مخبرا فقط .. لقد لاحظ ،  
واختار ، وقدر ، ثم وصل .. انه كما قال كونليانسكي : « في واقعيته  
الفظة ، وترفعه عن الاحزان والمسررات الشخصية ، رأى تشيكوف ،  
وعرف كل شيء .. كان قادرا على ان يكون رقيقا ، كريما دون ان يجب

لا يدري ما الذي يريد ، حيناً ، ويعلمه جيداً ، حيناً آخر .. ومن ثم يستغل مهارته ليمنع القارئ من ضبطه . لقد اصغر هنري جيمس على ان الكاتب يجب ان يكتب بأسلوب درامي . ذلك قول - مع انه قد لا يكون واضحاً - يقصد به ان عليه ان يرتب حقائقه بحيث يستطيع ان يستولي على انتباه قارئه . وهذا - كما يعرف كل واحد - ما فعله هنري جيمس باستمرار . ولكن هذا بالطبع ، ليس اسلوباً يكتب به عمل علمي ، او معلومات قيمة . فاذا كان اقرء مهتمين بمشكلات العصر الملحة ، فمن الخير لهم ان يقرأوا - مثلما نصحبهم تشيكوف - الاعمال التي تعالجها بشكل محدد ، لا الروايات ، و القصص القصيرة . فليس هدف القصصي ان يعلم ، بل ان يسعد .

يحيا الكتاب حياة مجهولة .. انهم لا يدعون الى « مادة رئيس البلدية » .. وليس لهم شرف كسر زجاجة شمبانيا على هيكل سفينة ستمخر - في رحلتها الاولى - عباب المحيط .. ان الجماهير لا تتعلق - مثلما تفعل مع نجوم السينما - لمشاهدتهم وهم يفادرون فنادقهم ، لكي يفوزوا في سيارة رولزرويس .. انهم لا يدعون لكي يفتتحوا الاسواق الخيرية لمساعدة النساء المنكوبات ، او ليقدموا ، بين هتاف الجماهير ، الكاس الفضية للفائز بمباراة التنس الفردية ، في ومبلدون . سوى ان لهم ما يوضع عن ذلك .. فمذ عهود ما قبل التاريخ ، قام رجال ذوو مواهب خلاقة ، بتخفيف وطأة الحياة الكئيبة ، بواسطة الانتاج الفني . ان كل واحد يستطيع ان يرى بأم عينيه - اذا ما ذهب الى كريت - كيف ان القوارير ، والاقداح ، والجرار زينت بالرسومات ، لا لانها جعلتها اكثر فائدة ، بل لانها جعلتها اكثر جاذبية للعين .. وعلى مر العصور ، وجد الفنانون الرضى التام ، في انتاج الاعمال الفنية . فاذا ما استطاع الكاتب القصصي ان يفعل ذلك ، فانه يكون قد ادى كل ما يطلبه عاقل منه ، ذلك ان استخدام القصة كمنبر او منصة للخطابة ، والوعظ عمل كرهه .

- ٦ -

اظن انه من الظلم ان تختتم هذه المقالة المفككة ، دون ان نؤخذ بعين الاعتبار كاتبة نالت قصصها - في الفترة الواقعة ما بين الحربيين العالميتين - اعجاباً شديداً . انها كاترين مانسفيلد . فاذا ما اختلف اسلوب سبك القصة الانجليزية القصيرة ، عند كتابنا المعاصرين ، عن اسلوب كبار كتاب القرن التاسع عشر ، ففي رأبي ، ان الفضل في ذلك ، يرجع - الى حد ما - الى نفوذها . ليس هذا بالمجال السذي نستعرض فيه حياة الانسة مانسفيلد . ولكن ، ومنذ ان معظم قصصها شخصية الى ابعد الحدود ، فاني ساقدم عرضاً مقتضباً لحياتها . ولدت في نيوزيلندا ، عام ١٨٨٨ . ومنذ حداثة سنها ، كتبت عدداً من المقطوعات الصغيرة التي نمت عن موهبة مبكرة . تمت ان تصبح كاتبة . وجدت الحياة ، في نيوزيلندا ، مملة ، وضيقة ، فالتحت على ابوها بان يتركها تعود الى انجلترا ، حيث كانت اختها - لمدة عامين - في احدى المدارس . صدم ابوها المحترمان ، حينما اكتشفا علاقة غرامية قصيرة لها ، مع شاب التقت به ، في حفلة راقصة ، الامر الذي جعلهما - على ما يبدو - يسمحان لها بالعودة . خصص لها ابوها مائة جنيه في السنة .. وكان هذا المبلغ كافياً - آنذاك - لفنائة ان تعيش به باقتصاد . جددت ، في لندن ، اتصالاتها ببعض الاصدقاء النيوزيلانديين ، وكان احدهم ارنولد تروول ، الذي غدا عازفاً مشهوراً .. كان ، في نيوزيلندا ، قد شفها حياً .. سوى انها ، في لندن ، نقلت عواطفها الى اخيه الاصغر ، الذي كان عازفاً للكمان . اصبحا عاشقين . كانت اقامتها في شبه منزل للنساء العازبات ، تكلفها خمسة وعشرين شلن في الاسبوع . وبذلك ، لم يبق معها غير خمسة عشر شلن للابسها ، وتسليةها . ساءها ان تعيش في هذه الظروف الصعبة . وعندما خطبها مدرس غناء ، اسمه جورج باودين ، وافقت .. تزوجت في ثوب اسود ، ومعها صديقة لها

الحياة التي عاشوها هم انفسهم . كان معظم قرائه من ارباء الطبقة الوسطى .. وقد شعروا بالفة في ذلك الوسط الذي عالجه .. احسوا بنفس جذوة الرضى عن النفس التي احسوا بها ، عندما قال لهم السيد براون العزيز بان « الاله في سماه - وان العالم على ما يرام » .. لقد اكسب الزمن هذه القصص جاذبية خاصة .. اننا نجد مسلية ومؤثرة ، نوعاً ما ، ( يا لروعة العيش في عالم حياة الموسرين فيه سهلة ، وكسل شيء يأتي حسناً في النهاية ! ) .. ونجد فيها سحر صور منتصف القرن التاسع عشر المسلية ، برجالها اللتحنين ، في معاطفهم السوداء المذيلة ، وقبعاتهم العالية ، ونسائهم الجميلات ، في قبعاتهن الظليلة ، وملابسهن الفضفاضة . اما القراء الاخرون فيطلبون فسي قصصهم الغريبة ، والجدة . لقد وجدت القصة الغربية - دائماً - عشاقاً لها ، ذلك لان معظم الناس يحيون حياة رتيبة جداً .. وان في انهماكهم - للحظة - في عالم تحف به الاخطار ، والمغامرات المهلكة خلاص لهم من سام الحياة . اني اشك في ان يكون قراء قصص تشيكوف الرضى قد وجدوا فيها متعة مختلفة عما وجد قراؤها في العالم الغربي ، ذلك انهم عرفوا جيداً حالة الناس الذين وصفهم وصفاً رائعاً . اما القراء الانجليز فقد وجدوا في قصصه شيئاً جديداً ، وغريباً ، ومجزناً ، ومخيلاً ، احياناً كثيرة .. سوى انه قدم بصدق مؤثر ، خلاب ، بل ورومنظيقي .

لا يستطيع الا الشخص الساذج جداً ، ان يفترض ان العمل القصصي يمكن ان يزودنا بمعلومات موثوقة عن المواضيع التي يهمننا - من اجل ان ننتهج مسلكاً في حياتنا - ان نعرفها .. فليس القصصي ، بحكم طبيعة مواهبه الخلاقة ، كفؤاً لان يعالج مثل هذه الامور .. انه لا يجب ان يملل ويجادل بل ان يحس ، ويتصور ، ويستشيط .. انه منجاز . فالمواضيع التي يختارها الكاتب ، والشخصيات التي يخلقها ، وتصرفه نحوها ، كلها مشروطة بتحيزه .. فان ما يكتبه تصوير لشخصيته ، وعرض لفرائزه ، وعواطفه ، ووجدانه ، وتجربته .. انه يرحم بالقيب ،

## مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق . ل

- المثقفون - رواية جزآن
- ١٤٠٠ ترجمة جورج طرابيشي
- انا وسارتر والحياة
- ٤٠٠ ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- مغامرة الانسان
- ١٥٠ ترجمة جورج طرابيشي
- الوجودية وحكمة الشعوب
- ١٧٥ ترجمة جورج طرابيشي
- نحو اخلاق وجودية
- ٢٢٥ ترجمة جورج طرابيشي
- بريجيت باردو وآفة لوليد
- ١٥٠
- قوة الاشياء - جزآن
- ١١٠٠ ترجمة عايدة مطرجي ادريس

منشورات دار الاداب



كاترين مانسفيلد

فيما اظن - يحدنان أحدهما الآخر ، عن نفسيهما ، مثلما يفعل الصغار السن ، حتى الثانية صباحا . وفي امسية مثل هذه ، سألته ، بعد نثرة من الصمت : « لم لا تتخذني عشيقه لك ؟ » . اجاب : « اوه ، لا .. ذلك كفيلا بان يفسد كل شيء .. اولا تظنين ذلك ؟ » .. قالت : « بلى » . فوجيء - فيما بعد - عندما علم ان رده على اقتراحها اساء اليها اساءة بالغة . بعد ذلك بقليل ، على كل حال ، شأت بينهما علاقة جنسية . واستنادا الى ترجمه حياة موري ، لني كتبها بنفسه ، والمعنونه « بين عالمين » ، فانهما كانا سيتزوجان ، لو لم تكن متزوجة ، فقد رفض جورج باودن - ربما ليقيظها - ان يظفها . ذهب الى باريس . على شكل شهر عسل ، وذلك لان موري كان يريد ، من جهة اخرى ، ان يعرفها على صديقه الكبير ، فرانسيس كاركو . وبعد عودتهما الى انجلترا ، عاشا في لندن نثرة ، وفي الريف ، نارة اخرى .. وكانا لا يكاد يستقر بهما اقام في مكان ، حتى تبفضه كاترين ، فينتقلان الى مكان غيره . واخيرا ، قررا ان يقيما في باريس اقامة دائمة . وفي هذا الوقت ، اصبح موري صحفيا مشهورا ، واستطاع ان يدخر جزءا من دخله . اتفق مع سيندر ، وريتشموند ، محرر «ملحق الناييز الادبي» على ان يكتب مقالات عن الادب الفرنسي المعاصر . كانت مدخراته ، وما انتظر ان يكسبه من هذه المقالات ، ومخصصات كاترين كافية لتوفير ضروريات الحياة لهما .

استأجرا ، منذ ان وصلا الى باريس ، شقة ، وجلبا من انجلترا ، وبنفقات باهظة ، الاثاث الذي جمعاه .. اتقيا بفرانسيس كاركو كثيرا . احبت كاترين صحبته ، فقد كان جذابا ، مسليا .. ولعله جعل منها ما يسميه الفرنسيون « فرعا صغيرا من الباحة » .. سوى ان « ويست منستر غازيت » و « ملحق الناييز الادبي » رفضتا مقالات موري . ونفدت نقودهما .. لم يستطع كاركو ان يساعدهما ، بل كان ، على النقيض من ذلك ، يتسبب تهما ببعض النفقات . جن جنونهما .. وهنا تسلم موري رسالة من سيندر يخبره فيها ان وظيفة نافذ فني سوف تشفر ، عما قريب ، في « ويست منستر غازيت » .. وانه يستطيع ان يعين فيها ، اذا عاد . رجعا الى انجلترا ، على مضض ، وكان ذلك في اذار ( مارس ) عام ١٩١٤ . وتلمتاد ، عاشا هنا ، وهناك . وفي اب ( اغسطس ) اشتعلت نيران الحرب ، وانتهى بذلك عمل موري كناقد فني . انتغلا الى كوخ في « تشولسبري » ، في « باكنهام شاير » ، حتى يكونا قريبين من « د.ه. لورنس » وزوجته ، اتلذين اصبحا صديقين لهما . وفشلا ، ذلك ان كاترين كانت تريد حياة امدية ، بينما كسره موري تلك الحياة . ضاق بهما الحال ، فاخذت تشكو من ان موري لا يريد المال ، ولا يحب ان يكسبه . لم تكن امامه الا فرصة قليلة لكسب يكسبه . وهكذا ، ضاقا ذرعا ببعضهما البعض . وما ان حل عيد الميلاد حتى كانا على يقين من انهما يكادان يفترقان . كانت كاترين وفرانسيس كاركو يتبادلان الرسائل ، منذ ان غادرت باريس ، مع موري . ولعلها نظرت الى هذه الرسائل بجديّة اكثر مما اراد هو لها ، بحيث حسبت - على ما يبدو - انه مفرم بها . اما هل احبته هي ، فامر تختلف فيه الاراء . لقد كان جذابا ، وكانت تريد ان تتعد عن موري . ظنت ان بوسع فرانسيس كاركو ان يهيء لها اسباب السعادة التي لم يعد موري قادرا على توفيرها لها . اما موري الذي كان يعرفه اكثر منها ، فكان موقنا من انها تخدع نفسها .. الا انه لم يحاول ان يوضح لها الحقيقة . وصل اخو كاترين ، لسلي هارون بيشامب ، الى انجلترا ، لكي يسجل اسمه في قائمة المتطوعين ، واعطاهما مالا لتذهب الى فرنسا ، وتلتحق بفرانسيس كاركو . وفي يوم الاثنين ، الموافق ١٥ شباط ( فبراير ) ، رافقها موري الى لندن . وبعد ذلك بيومين او ثلاثة ، غادرتها الى باريس .

كان كاركو قد استدعي للخدمة العسكرية ، وعسكر في مكان يدعى « غري » ، في منطقة محظورة على النساء .. صادفت كاترين مصاعب

كانت شاهدة زواجها الوحيدة . ذهبا الى فندق لقضاء ليلتهما . رفضت ان تسمح له بما اعتبره حفا زوجيا له .. وتركته في اليوم التالي . كتبت - فيما بعد - قصة مقبذة عنه ، بعنوان « يوم السيد ريجينالد بيكوك » . لحقت بعشيقها الذي كان يعزف الكمان في ليفربول ، في فرقة موسيقية تابعة لفرقة اوبرا فكهامية ، متجولة . ويقال انها عملت ، لفترة قصيرة ، عضوة في جوقتها . كانت حبلى .. بيد ان احدا لا يعرف ما اذا كانت على علم بذلك قبل زواجها ، او بعده بقليل . ارسلت كاترين برقية الى ابويها في نيوزيلندا ، تزف اليهم فيها نيا اقتراب زواجها ، واخرى تخبرهم فيها انها هجرت زوجها . جاءت امها الى انجلترا لكي ترى الوضع بنفسها .. ولا بد انها كانت صدمة قاسية لها ان تجسد ابنها فيما اصطلحوا على تسميته ، في عهد الملكة فيكتوريا ، « بالوضع السلي » . وضعت الترتيبات لسفرها الى فيرشهوفن ، في بافاريا ، الى ان تضع مولودها . قرأت - هناك - قصص تشيكوف ، وكانت - فيما اظن - مترجمة الى الالمانية .. وكتبت القصص التي نشرت ، فيما بعد ، في كتاب بعنوان « في نزل الماني » . ادخلت المستشفى ، اثر حادث ، وولد الجنين ميتا .. عادت الى انجلترا بعد ان شفيت . نشرت قصصها الاولى في « نيو ايج » ، واكسبتها شيئا من الشهرة . تعرفت على عدد من زملائها الكتاب . وفي عام ١٩١١ ، التقت بميدلتون موري .. اسس موري ، وهو ما يزال طابعا بعد ، مجلة سماها « ريدم » .. قيل قصة ، كان قد طلبها منها ، وكانت هذه بعنوان « فتاة الحانوت » . نشأ ميدلتون موري في مجتمع الطبقة المتوسطة الفقير . ولكن اتحاد ذكائه مع اجتهاده اهله لان ينتقل من مدرسة داخلية ، الى مدرسة ثانوية .. ومن هناك ، بعثة ، الى مستشفى المسيح .. واخيرا ، بعثة اخرى ، الى اكسفورد . كان له سحره ، وجماله .. كان رائع الجمال ، حفا - استنادا الى ما قاله فرانسيس كاركو ، وهو رجل فرنسي من ارباب الاقلام ، تعرف عليه في احدى زيارته لباريس - حتى ان عاهرات مونتمارتر تناغسن فيما بينهن ، على من ستأخذه الى فراشها مجانا . احب موري كاترين ، وجعله هذا يقدم على اتخاذ الخطوة التي فكر فيها طويلا ، وهي ان ينقطع عن الدراسة في اكسفورد - دون ان يكون اول الخريجين ، مثلما كان ينتظر منه ، ما دام انه لم يكن صالحا لاي شيء سوى اجتياز الامتحانات - لكسي يحترف الكتابة .. لقد صدمته اكسفورد . وشعر انها اعطته كل ما كان ينتظره منها . قدمه استاذاه ، فوكس ، الى سيندر ، محرر « ويست منستر غازيت » الذي وافق على ان يجربه .. كان يبحث ، في لندن ، عن مكان يعيش فيه . وبينما كان يتناول عشاءه - ذات يوم - بصحبة كاترين ، عرضت عليه حجرة في الشقة التي كانت تستأجرها ، مقابل ايجار اسبوعي قدره سبعة شلنات ونصف الشلن . انتقل اليها . وبما انهما كانا مشغولين طيلة يومهما ، هي بقصصها ، وهو بعمله فسي « ويست منستر غازيت » ، فانهما لم يلتقيا الا في المساء ، حيث كانا -

جمة في الوصول الى هناك . استقبلها كاركو في المحطة ، واصطحبها الى المنزل الصغير الذي كان يقيم فيه . مكثت هناك ثلاثة ايام ، ثم عادت الى باريس نثيبه للفايه ، بعد ان انقضت غشاوة الوهم عن عينيها . ولا يسع المرء الا ان يخمن اسباب كاتبها . وفجأة تسلم موري برقية منها تقول فيها انها عاندة ، ونها ستعمل الى محطة فيكتوريا في النامنة صباحا ، من اليوم التالي . اُخبرت ( ويجب الاعتراف ، بشغل فظ ) ، لا تجد مكانا اخر لتذهب اليه . استأنفا العيش معا ، فيما وصفه موري عندما وصلت ، انها ليست عاندة اليه ، وانها انما تعود ببساطة ، لانها لا تجد مكانا اخر لتذهب اليه . استأنفا العيش معا فيما وصفه موري « بنوع من الهدنة المضيئة » . اعطاها فرارها مادة تقمصه بعنوان « اني اجهل الفرنسية » ، رسمت فيها صورة مؤذية لفرانسيس كاركو، واخرى وضيفة اوري . اعطته مخطوطها ليقراه .. وجرحه ما قرأ جرحا بالفا ، وذلك ما ارادته ، بالتاكيد .

بوسمي ان امر بايجاز على السنين الباقية من حياة كاترين . في وقت ما ، من عام ١٩١٨ ، استطاعت كاترين وموري ان يتزوجا ، بعد ان طلقها جورج باودن ، اخيرا . كانت صحتها سيئة الى حد بعيد . ففي السنوات الماضية ، اصيبت بمختلف الامراض ، واجريت لها عملية جراحية خطيرة . اما الان ، فكانت تعاني من السل الرئوي .. فبعد ان عولجت على ايدي عدد من الاطباء ، اقنعها موري بان تعرض نفسها على اخصائي . جاء الاخصائي .. كانت كاترين في فراشها ، بينما انتظر موري في الطابق الاسفل ، لكي يعرف نتيجة الفحص . ولما عاد الاخصائي ، اخبره ان امامها فرصة واحدة ، وهي ان تدخل مستشفى الامراض الصدرية ، على الفور ، وانها لن تفعل ذلك ، لن تعيش اكثر من عامين ، او ثلاثة اعوام - او اربعة اعوام ، على اقصى تقدير . وسوف اعتسب الان من مذكرات موري : « شكرته ، وصحبته الى الباب ، ثم سعدت الى كاترين .

قالت : يقول اني يجب ان ادخل مستشفى الامراض الصدرية . ان مستشفى الامراض الصدرية سيقتلني . ثم صوتت تحوي نظيرة سريعة ، مخيفة : اوتريديني ان اموت ؟ « قلت بملل ، لا .. فما اتفائدة ؟ « اوتظن انه سيقتلني ؟ « قلت ، اجل . « انك تعتقد بانني ساشفى من مرضي . « قلت ، نعم .»

من الفريب حقا الا يكون الطبيب ، او موري قد اقترح عليها ان تدخل المصح لشهر ، ثم ترى ما اذا كانت سترضى عنه . كان هناك مستشفى ممتاز في بانخوري ، بسكوتلاندا .. واحسب انها كانت ستجد الحياة هناك ممتعة للغاية .. واني لا اشك مطلقا في انها كانت ستجد مادة لقصة ما ، فقد كان المرضى من مختلف الانواع . كان هناك مرضى قضوا في المستشفى سنوات عديدة ، لانهم ما كانوا يعيشوا ، او لم

يعيشوا فيه .. بينما شفي آخرون ، وغادروه .. وتوفي البعض الآخر ، واطنهم ماتوا بسلام ، وبلا اسف . اني افول ما اعلم ، ذلك انه حدث ان كنت في بانخوري ، في الوقت نفسه الذي كان من المفكر ان تكون كاترين فيه هناك .. وان من الجائز ان اقابلها . كانت - بالتاكيد - ستكرهني على الفور . سوى ان هذا لم يحدث ، لا هنا ، ولا هناك .

منذ ذلك الحين ، عاشت كاترين ، في الخارج ، سعيا وراء الصحة ، بصحبة صديقتها ، ايدا بيكر ، التي رعتها . اخلصت ايدا بيكر - وكانت امرأة شابة في مثل سنها - لها الخدمة ايما اخلاص ، طيلة سنوات . وعاملتها كاترين كما لم تعامل اي كلب .. استبدت بها ، وعنفتها ، واستفلتها باستهتار . ولكن ايدا بيكر بقيت عبدتها المحبة ، المخلصة . كانت كاترين مولعة بحب الذات ، مستعدة لان تتور بعنف فجأة ، قليلة الصبر بشكل فظيع ، حريصة ، انانية ، فاسية ، متفطرسة ، سليطة .. وهذه الصفات لا تجعلها شخصية محببة . ولكنها كانت رائعة الجاذبية ، ويقول لي كليف بيل ، الذي عرفها ، انها كانت فاتنة . كانت خارقة الذكاء ، ومسلية اذا ما شاءت ذلك . اما موري فقد اضطره عمله الى البقاء في لندن . فلم يكن يجتمع بها الا في فترات متقطعة . تبادلنا عددا كبيرا من الرسائل . وبعد وفاة كاترين ، نشر موري رسائلها اليه ، ولم يصف - بطبيعة الحال - رسائله اليها ، بحيث لم يعد بوسعك الا ان تقدر مدى علاقتهما - انذاك - ببعضهما البعض . كانت معظم رسائلها عاطفية جدا .. سوى انها كانت سما زعافا ، اذا اغاظها . زاد والد كاترين مخصصاتها السنوية تدريجيا ، حتى وصلت الى مائتين وخمسين جنيه . غير انها كانت ابدأ ، في ضائقة مستحكمة .. وذات مرة، حينما كتبت اني موري تخبره انها تعرضت لنفقات لم تكن في الحسبان، كتبت اليه رسالة تتميز غيظا ، لانه لم يرسل اليها النقود على الفور ، بل آثر ان يضعها في الموقف المهين بان تطلبها منه . لقد دفع فواتير الاطباء ، وتحمل نفقات مرضها .. كان غارقا في الديون . سألته : « تم اشترت امرأة ، اذا كنت ، حقا ، في ضائقة مالية ؟ » كان لا بد لابنكم السكين من ان يخلق ذقنه . وعندما عين موري محررا « للانثيموم » ( المجمع العلمي ) ، براتب سنوي قدره ثمانمائة جنيه ، تقدمت كاترين اليه بطلب فوري بان يدفع لها عشرة جنيهات شهريا . لعله كان جميلا منه ان يوافق على ان يفعل ذلك .. ولكنه ربما كان حريصا على ماله .. والدليل على ذلك ان كاترين طلبت اليه بوضوح ، حينما ارسلت اليه قصة لطباعتها ، ان تكون الطباعة على نفقتها الخاصة . لقد تعمدت اهانتته . الواقع انهما لم يناسيا بعضهما بعضا ، منذ البداية . كان موري - مع انه اكثر انصافا - مثل كاترين ، مختالا فخورا .. كان ، على ما يبدو ، ظريفا .. وكان رفيقا ، وديعا ، حليما ، وصابرا بشكل رائع . عندما يموت الحب ، قد تصبغ الفيرة - كما نعلم - عذابا . وضع ان موري لم يعد يحب كاترين ، الا انه لا بد وان يكون قد شعر بالهوان ، حينما هجرته الى رجل اخر . وانه لكرم منه ، بل وشهامة ، ان يردها اليه ، بعد تجربتها المريرة مع فرانسيس كاركو . لا يوجد أي دليل على انها كانت شاكرة له حسن صنيعه ، ذلك انها اعتبرت كل ما فعله من اجلها ، حقا لها عليه . ومع ان موري كان ( بالمصطلح الحالي ) « مبتلا » الا انه لم يكن مخلوقا عديم الشان ، فقد اصبح ناقدا حسنا .. وكان نقده لقصص كاترين قيما بالنسبة لها . وفي سنواته الاخيرة ، كتب « حياة سويفت » (١) ، الذي يتفق - عموما - على انه افضل ما كتب قاطبة ، عن تلك الشخصية المنحوسة ، والتي كانت ايضا فريدة .

كان تشخيص الاخصائي الانجليزي صائبا . لقد اعطى كاترين ، لتحييا ، مدة اقصاها اربع سنوات . فبعد ان امضت فترة من الزمن في الريفيرا الايطالية ، ثم الريفيرا الفرنسية، وفيما بعد ، في سويسرا ،

(١) مؤلف « رحلات جوليفر » .. انظر ايضا مقابلة الناقد الانجليزي جورج اويويل ، المأهونة « الديمقراطية ضد الادب » ، تحليل لسرحلات جوليفر ، المنشورة في كتاب Selected Essays - الناشر بنغوين ، عام ١٩٥٧ ، وعام ١٩٦٠ . ( المترجم ) .

## في البحرين تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من  
الشركة العربية للوكالات والتوزيع  
شارع المنبهي

.. ويبدو ان هذا الايضاح يرمز عمليا الى الزخرف الذي تحلى به قصة من الصالة بحيث لن تقوم لها بدونه قائمة . كانت كاترين مانسفيلد قادرة على ان تصنع هذا بسحر ، ومهارة . كانت تملك ، حقا ، قدرة هائلة على الملاحظة .. وكان يوسعها ان تصف الطبيعة ، مثل اريج اتريف ، والريح والمطر ، والبحر والسماء ، والأشجار ، والفواكه ، والأزهار بركة نادرة . ولم تكن اقل مواهبها تلك الموهبة التي اتاحت لها ان تذيب قلبك اسي ، في حديث بدا - من كل نواحيه - عرضيا ، ولتقل حول فنان مسن الشاي . ويعلم الله ان هذا ليس بالامر الهين . لقد كتبت بأسلوب كلامي سار .. وانك لتستطيع ان تقرأ حتى اصفر قصصها بسرور . انها لا تعلق في ذاكرتك ، مثلما تفعل ، على سبيل المثال ، قصة « بول دي سوف » لموباسان ، و « جناح رقم ١٠ » لتشيكوف . ولعل السبب في ذلك انه من اليسير عليك ان تتذكر الحقيقة ، من ان تتذكر العاطفة . انك تذكر يوم سقطت عن الدرج ، ورضضت كاحلك .. ولكنك لا تتذكر كيف أحسست عندما أحبت . ولكن ، ان تتذكر القصة بعد قراءتها ، وما اذا كان ذلك مزيه حسنة من مزاياها ، فأمر لا أجرؤ على ان ابدي فيه رأيا .

لم تجد كاترين مانسفيلد الا القليل مما يسرها في نيوزيلندا ، عندما عاشت هناك . ولكن افكارها رجعت - فيما بعد - الى سنواتها الاولى هناك ، عندما ساءت صحتها ، وحينما لم تعطها إنجلترا ما توقعته منها . كانت هناك لحظات تمت فيها لو انها لم تقرب عنها . أما حياتها فيها فقد بدت تامه ، ومبهجة ، ومتنوعة . لم تجد بدا من ان تكتب عنها . كانت قصتها الاولى بعنوان « الافتتاحية » .. كتبتها حينما كانت تمضي ، مع موري ، لثلاثة شهور في باندول ، بالريفيرا الفرنسية ، وحينما كانا اكثر سعادة معا ، من اي وقت اخر . كانت تنوي ان تسميها « اللصارة » . سوي ان موري اقترح ان تسميها « الافتتاحية » .. ويخيل الي انه شعر انها كانت هيكل قصة ، اكثر منها قصة . بدأتها - كما نعلم - وفي نيتها ان تكتب رواية طويلة .. ولعلها - بناء على ذلك - جاءت مهلهلة نوعا ما . بعدها ، كتبت ، فيما كتبت من قصص ، وعنى النمط نفسه ، « الرحلة البحرية » ، و « على الخليج » ، و « حفلة الحديقة » . تصف « الرحلة البحرية » السفر لليلة ، تقوم به بنية صغيرة ، تبرعها جديتها ، من ميناء نيوزيلندي الى آخر . انها في منتهى التحنان ، والفننة . اما القصص الأخرى ، فمن بيها ، وامها ، واخيها ، واخواتها ، وابناء عمومتها ، وجيرانها .. وهي قصص طبيعية ، وحيوية ، ولذيذة . نحن نعلم انها بذلت فيها جهدا كبيرا ، وان فيها صبغة تلقائية ، محببة .. انها خالية من المرارة ، وخيبة الأمل ، والشجن التي سببت في قصصها الأخرى .. انها - في رأبي - افضل ما كتبتة قاطبة .

يقال لي ان قصص كاترين مانسفيلد لا تلقى من التقدير ما لقيته في العقد الثاني من القرن الحالي . سوف يكون من المؤسف ان تنسى .. ولا اظن انها ستنسى . على كل حال ، ان شخصية الكاتب هي من يضفي على إنتاجه صبغة خاصة .. وليس مهما ان تكون سخيقة قليلا ، مثل شخصية هنري جيمس ، او مبتذلة نوعا ما ، مثل شخصية موباسان ، او وقحة ، وفسطرية ، فسوف يبقى إنتاجه حيا .. وهذا ، بالتأكيد ، ما نجحت كاترين مانسفيلد في ادائه .

ترجمة حسن بكر

زوروا مكتبة السلام

السودان - حلفا الجديدة ص. ب ٢٣

جميع الكتب وادوات المدارس ومطبوعات دار الآداب

دخلت - كمحاولة أخيرة - معهد غوردييف ، في فونتانابلو ، وتوفيت هناك ، في اوائل عام ١٩٢٣ .. كانت في الرابعة والثلاثين من عمرها . من المتفق عليه ان كاترين تأثرت بتشيكوف . لقد انكر ميدلتون موري هذا ، وادعى انها كانت ستكتب قصصها ، مثلما كتبتها تماما ، لو انها لم تقرأ أية قصة من قصص تشيكوف . وهنا ، نأن - فيما اظن - مخطئا . كانت ستكتب قصصا ، بطبيعة الحال ، لان ذلك في دمها .. سوى اني اعتقد انها لو تم تأثر بتشيكوف ، لاختلفت قصصها اختلافا بينا . تدفقت قصص كاترين مانسفيلد من نبع وحدة ، وحساسية ، وعصبية امرأة مريضة ، لم تشعر ، قط ، بالطمأنينة في أوروبا ، التي اختارت ان تعيش فيها .. وكان هذا محتوما . اما القالب الذي كتبت فيه ، فكانت مدينة به لتشيكوف . ان الاسلوب الذي كتبت به القصص القصيرة ، في الماضي ، بسيط .. فهو يتألف من : آ - تركيب الهيكل العام ، ب - تقديم الأشخاص ، ج - ما يفعله ، وما يقع لهم ، د - النتيجة . كانت هذه طريقة متفرغة في رواية القصة ، وكان يوسع الكاتب ان يطولها بقدر ما يشاء . ولكن ، بعدما اخذت الصحف تنشر القصص ، تحدد طولها بصلابة . ولكي يستوفي الكاتب هذا الشرط ، كان عليه ان ينتهج تكتيكا مناسباً ، وان يسقط من قصته كل ما ليس ضروريا . الفرض من ( آ ) تركيب الهيكل العام ، هو وضع القارئ في حالة ذهنية مناسبة ، بقصد الاستمتاع بالقصة ، أو لاضافة المقول اليها . ويمكن حذف هذا .. بل انه - عموما - يحذف ، في ايامنا هذه . اما ان تترك ( د ) النتيجة ، لخيال القارئ فمغامرة ، ذلك لانه اهتم بالظروف التي وصفت .. وقد يشعر انه خدع ، اذا لم يذكر له ما ينتج عنها . سوى ان الحذف مؤثر ، وحاسم اذا كانت النتيجة معروفة .. وافضل مثل على ذلك قصة تشيكوف « السيدة صاحبة الكلب » . اما ( ب ) و ( ج ) . فضروريان ، ولا يمكن ان تقوم لقصة قائمة بدونهما . من الواضح ان حمل القارئ الى غمرة الاحداث مباشرة ، يعطي القصة صبغة درامية ، تجذب القارئ ، وتشده اليها . لقد كتب تشيكوف عدة مئات من القصص ، على هذا النحو .. وعندما اصبح قادرا - بعد اتساع شهرته - على ان يكتب قصصا اطول ، لتنتشر في المجلات ، استعمل - باستمرار تقريبا - الاسلوب الذي تعود عليه .

ناسب هذا الاسلوب مزاج كاترين وقدرتها . كانت موهبتها صغيرة ، ولكنها رقيقة .. واحسب ان الشديدي الاعجاب بها قد اسأؤوا اليها ، حينما نسبوا لها ما لم يدعمه اتناجها . كانت قدرتها على الخلق صغيرة .. فالقدرة على الخلق قدرة غريبة ، وهي احدى خصائص الشباب . انها تضيع مع التكبر . وذلك امر طبيعي ، لانها وليدة التجربة . بمرور الزمن ، تفقد احداث الحياة الجدة ، والانفعال ، والانارة التي كانت تبغها ايام الشباب ، ومن ثم لا تثير في الكاتب اي تعبير . لسم تكن تجربة حياة كاترين كبيرة . كانت تعرف انها محتاجة اليها . يقول موري معترضا ، نوعا ما : « ارادت المال ، والتسرف ، والمغامرة ، وحياة المدينة » .. لقد ارادت ذلك بالطبع ، لانها كانت ستجد - عندئذ فقط - مادة لقصصها . ان على القاصي ان يؤدي دوره في صخب الحياة ، اذا ما شاء ان يقول الصدق كما يراه . واذا ما صرح ما يقوله القاموس لنا ، من ان القصة سرد لحوادث وقعت ، او قد تقع ، فلا بد - اذن - من الاعتراف بان كاترين مانسفيلد تم تكن ذات مواهب بارزة في رواية القصة .. لقد انحصرت مواهبها في مجال اخر . كان يوسعها ان تأخذ وضعا ، ثم تعصر منه كل ما فيه من تهكم ، ومرارة ، وشجن ، وتعاسة .. واسوق مثلا على هذا ، الرواية التي سمتها « علم النفس » . كتبت بضع قصص ايجابية منها مثلا ، « بنات الكولونيل الراحل » ، و « صورة » ، وهي قصص حسنة . سوى انه كان من الجائز ان يكتبها اي كاتب كفؤ . ان اكثر قصصها اختلافا عن سواها تلك القصص التي عرفت ، عموما ، بقصص الجو . سألت شتى اصدقائي الادباء عن مفهوم كلمة « الجو » ، في هذا المجال .. الا انهم لم يستطيعوا ، أو لم يشأوا ان يجيبوني جوابا يقنعني . وقاموس اكسفورد لا يساعد . فيعد التعريف الظاهر ، يوضح « البيئة المجازية المحيطة بالمنصر الذهني او الاخلاقي »